تُحفة المودُود بفضل الصدقة والجود

تأليف الشيخ

عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي

مصدر هذه المادة :



دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، أمر بالجود والإحسان، وجعله سترًا من لظى النيران، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الكريم المنان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير من جاد وأنفق من الأنام، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، أولي السماحة والبر والعرفان، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الله تعالى بحكمته البالغة، ومشيئته النافذة، فاوت بين الخلق بين أرزقهم ومعاشهم، وغير ذلك، فمنهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم المستور، قال سبحانه: **﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾** [الإسراء: 21]، وقال جل وعلا: **﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾** [الشورى: 27]، وإن من الناس من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو استغنى لأفسده ذلك، قال الله تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى *أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: 6-7].

وقال تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [الزخرف: 32]، فابتلى الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وابتلى العلماء بالجهال، والجهال بالعلماء، وابتلى الأبرار بالفجار، والفجار بالأبرار، **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** [الملك: 14].

وأهل الأموال لا يُغبطون ما لم يسلطوا أموالهم في الحق، ويبذلوها في وجوه البر والخير، فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلط على هلكته في الحق**[1]**، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[2]، رواه الشيخان.

---

[1] (?) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: «أي على إهلاكه، أي إنفاقه في الحق»، فتح الباري (13/150).

[2] (?) رواه البخاري في كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، برقم (73)، ومسلم

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله -: يعني أنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة ويتمنى مثلها إلا أحد هذين، وذلك لما فيهما من النفع العام، والإحسان المتعدي إلى الخلق، فهذا ينفعهم بعلمه، وهذا ينفعهم بماله، و«**الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»[1].

ولا ريب أن هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين، ولا يعمر العالم إلا بهما[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[3] رواه أحمد ابن حبان،

في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم (816).

1 (?) رواه الطبراني (9891) عن عبد الله بن مسعود ﷺ، ورواه ابو يعلى (3370)، والبزار عن أنس (6947) ﷺ، وقال الألباني في الضعيفة (8/58، رقم 3590): «ضعيف جدًا»، وينظر: ضعيف الجامع، (6691).

2 (?) طريق الهجرتين، (ص: 789-790).

3 (?) رواه أحمد: (17797)، وابن حبان في صحيحه: (3210)، والبخاري في الأدب المفرد: (299)، كلهم من حديث عمرو بن العاص ﷺ، وصححه

فالمال لا يُذم لذاته ولكن بحسب استخدامه، فمن أخذه من حله، ووضعه في محله، واستعان به على صالح أمره، فلم يغتر به مع كثرته، فهذا قد سلم من تبعته، وأمن من شره.

وقد دعا النبي لأنس بن مالك بأن يكثر الله ماله وولده، فقال : «**اللهم ارزقه مالًا وولدًا، وبارك له**»، قال أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالًا... الحديث، رواه البخاري[1] [2].

من أجل ذلك رأيت أن أكتب كتابًا يبين حقيقة المال، وأصناف الناس فيه، وما أعد الله تعالى للمنفقين منه، إذ النفقة برهان على صحة الإيمان، كما قاله الرسول ،

الشيخ الألباني.

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم، برقم (1982).

[2] (?) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: «وفي هذا الحديث: الدعاء بخير الدنيا والآخرة، والدعاء بكثرة المال والولد، وأن ذلك لا ينافي الخير الأخروي، وأن فضل التقلل من الدنيا يختلف باختلاف الأشخاص» (فتح الباري 4/291).
على أن الكفاف أسلم، والقناعة أهدى وأقوم، ويدل لذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله قال: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه**» رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، برقم (1054).

وقد جعلته ذخيرةً ليوم معادي، وتذكرةً لنفسي ولمن شاء الله أن ينتفع به من إخواني، وسميته «**تحفة المودود بفضل الصدقة والجود**»، وذكرت ما يحتاج إليه من بيان غريب، وإيضاح مشكل، وتعليق لطيف؛ لتكمل فائدته، وتعظم عائدته.

وجعلت ما تضمنه هذا الكتاب مشتملًا على أربعة عشر فصلًا:

- فصل في: حقيقة المال.
- فصل في: حال النبي ﷺ مع المال.
- فصل في: حث النبي ﷺ على الصدقة.
- فصل في: ذكر نماذج من جوده ﷺ وبذله وإيثاره.
- فصل في: ذكر نماذج من جود الصحابة وبذلهم وإيثارهم.
- فصل في: حال العلماء مع الصدقة.
- فصل في: فضائل الصدقة وآثارها.
- فصل في: بيان أعظم الصدقة وأفضلها.
- فصل في: فضل الإنفاق على تعليم القرآن الكريم.

- فصل في: الوقف من الصدقة الجارية.
- فصل في: النفقة في عمارة المساجد.
- فصل في: ذكر نوع من الصدقة.
- فصل في: الدعوة إلى الإنفاق.
- فصل في: ذكر آفة الإنفاق.

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، خصوصًا من اعتنى به ونشره، ونظر فيه وقرأه، وأستمد منه تعالى حسن معونته، وأستودعه حفاظ موهبته، بحوله ومشيئته، فهو حسبي ونعم الوكيل.

كتبه:

عبد الرحمن بن عبد العزيز الدهامي

القصيم – البكيرية

ص.ب 1777 الرمز البريدي 51941

Imamzahraa@gmail.com

فصل في حقيقة المال

المال[1] زينة الحياة الدنيا وزهرتها، بهذا نطق القرآن الكريم، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 46]، وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14].

فبالمال يستغني الإنسان عن الآخرين، وبه يصلح أمر الدنيا والدين، ولهذا كان من جملة ما استعاذ منه النبي ﷺ استعاذته بالله من الفقر، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار**

[1] (?) المال: كل ما يملكه الفرد أو تملكه الجماعة، من متاع أو عروض تجارة أو عقار أو نقود أو حيوان، وكانت أموال العرب أنعامهم، وقيل: سمي المال مالًا لأنه مال بالناس عن طاعة الله ﷻ. المعجم الوسيط، (ص: 892).

وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر...» الحديث[1].

وقد جعل الله تعالى المال فتنة للناس واختبارًا، فقال سبحانه: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال: 28]، قال الإمام ابن جرير – رحمه الله -: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين: واعلموا – أيها المؤمنون – أنما أموالكم التي خولكموها الله، وأولادكم التي وهبها الله لكم، اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها، ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون، من أداء حق الله عليكم فيها، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها»[2].

بل إن الماء من أشد أنواع الفتن وأعظمها وأخطرها، خصوصًا على هذه الأمة الخاتمة، ففي الترمذي عن كعب بن عياض ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»[3]، أي: «اللهو به، لأنه

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، برقم (6368)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر الفتن وغيرها، برقم (589).

2 (?) تفسير جامع البيان (5/3819).

يشغل البال عن القيام بالطاعة، وينسي الآخرة»[1].

والله – جل وعلا – يبتلي الغني بغناه، والفقير بفقره، يبتلي ذاك بشكره وذا بصبره، قال تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**﴾ [الأعراف: 168]، وقال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء: 35].

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن الأموال قد شغلت المنافقين، فقال سبحانه: ﴿**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا**﴾ [الفتح: 11]، وأخبر سبحانه أن المال ألهى الكثيرين، فقال سبحانه: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ*حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ [التكاثر: 1-2].

وقد بين الله – تعالى – أنه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب كما ورد في الخبر «**وإن الله تعالى يعطي المال من أحب**

---

3 (?) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة هي المال، برقم (2336)، قال الألباني: «صحيح».

1 (?) تحفة الأحوذي (6/121).

ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»[1].

وقد أنكر ربنا – جل جلاله – على أقوام توهموا أن بسط الدنيا وسعة الرزق دليل على كرامة الله لهم، وأن الابتلاء بالفقر دليل على هوان المرء على ربه، فقال تعالى: **فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ*وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ *كَلَّا** [الفجر: 15-17]، «**لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته، ويهينه بمعصيته**»[2]، قال البغوي في تفسيره.

وقال تعالى: **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ *نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ** [المؤمنون: 55-56]، «يعني: أيظن هؤلاء المغرورون

---

[1] (?) رواه موقوفًا على عبد الله بن مسعود : البخاري في الأدب المفرد: (275)، وابن أبي شيبة في مصنفه (34545)، والطبراني في المعجم الكبير (8990)، ورواه مرفوعًا: الحاكم في المستدرك (94)، والبيهقي في شعب الإيمان (599). قال الدارقطني: «والصحيح الموقوف»، العلل (5/271)، وقال الألباني: «صحيح، موقوف في حكم المرفوع».

[2] (?) تفسير معالم التنزيل للبغوي 4/612.

أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا، ومعزتهم عندنا؟ كلا، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: **﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾** [سبأ: 35]، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاءً، ولهذا قال: **﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾**» انتهى من تفسير ابن كثير[1].

وقال الله – جل وعلا -: **﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾** [سبأ: 37].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من الناس من يبيع دينه من أجل ماله – عياذًا بالله -، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[2]، رواه مسلم.

---

1 (?) تفسير ابن كثير 3/364.

2 (?) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم (118).

وضرب النبي مثلًا عظيمًا يتجلى فيه خطورة الحرص على المال، وأن سلامة الدين مع الحرص أمر عزيز، فعن كعب بن مالك الأنصاري أن النبي قال: «**ما ذئبان جائعان، أرسلا في غنم، أفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه**»[1]، رواه أحمد والترمذي.

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله – «فهذا مثل عظيم جدًا ضربه النبي لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم، وقد غاب عنها رعاتها ليلًا، فهما يأكلان في الغنم، ويفترسان فيها.

ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا القليل، فأخبر النبي أن حرص المرء على المال والشرف ليس إفساده لدينه بأقل من إفساد هذين الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساويًا، وإما أن يكون أزيد، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المرء مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل،

---

[1] (?) رواه أحمد (15784)، والترمذي في كتاب الزهد، برقم (2376)، قال الألباني: (صحيح).

كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيهما إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا»[1].

فاحذر – يا عبد الله – أن تتخبط في مالك بغير علم، فتكون بأخبث المنازل، فعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع النبي يقول: «ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا، ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرها سواء، وعبد رزقه الله مالًا، ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالًا، ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالًا

---

[1] (?) شرح حديث: ما ذئبان جائعان...، لابن رجب، (ص: 31).

لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء»[1] رواه الترمذي.

وقد حذر النبي غاية التحذير من العبث في المال، وإيقاعه في الحرام، ومنع الواجب فيه، فقال : «**إن رجالاً يتخوضون**[2] **في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**»[3]، رواه البخاري.

ولم يكن النبي يخشى على أمته الفقر، بل خشي عليهم من بسط الدنيا، وما يخرج الله لهم من زهرتها، فقال : «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم»[4]، رواه البخاري.

---

1 (?) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، برقم (2325)، قال الألباني: «صحيح».

2 (?) قال الحافظ في الفتح (6/263): «أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل».

3 (?) رواه البخاري من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنها في كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: **فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ** [الأنفال: 41]، برقم (3118).

4 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم (6425) من حديث عمرو بن عوف .

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله أنه قال: «**إذا فُتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟**»، قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله : «أو **غير ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك**» الحديث[1]، رواه مسلم.

وفي الصحيحين[2] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال: «**أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا**»، قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟، قال: «**بركات الأرض**»[3]. قالوا: يا رسول الله، وهل يأتي الخير بالشر؟ قال: «**لا يأتي الخير إلا بالخير، ولا يأتي الخير إلا بالخير، لا يأتي الخير إلا بالخير، إن كل ما أنبت الربيع يقتل**

---

1 (?) رواه مسلم في أول كتاب الزهد والرقائق، برقم (2962).

2 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم (6427)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، برقم (1052).

3 (?) أراد بـ «زهرة الدنيا» حسنها وبهجتها، وبـ «بركات الأرض» نماءها وما يخرج من نباتها.

أو يلم[1] إلا آكلة الخضر[2]، فإنها تأكل حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس، ثم اجترت[3] وبالت وثلطت[4]، ثم عادت فأكلت، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان كالذي يأكل ولا يشبع» [5].

---

1 (?) «يلم» يقارب القتل. شرح مسلم (7/141).

2 (?) قال ابن الأثير – رحمه الله – في النهاية في غريب الحديث، (ص: 268): الخضر – بكسر الضاد -: نوع من البقول، ليس من أحرارها وجيدها. وأما قوله: «إلا آكلة الخضر»: فإن مثل للمقتصد، وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره فتحسن وتنعم، ولكنه من البقول التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها، حيث لا تجد سواها، فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمرئها، فضرب آكلة الخضر من المواشي مثلًا لمن يقتصد في أخذ الدنيا وجمعها، ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها، فهو بنجوة من وبالها، كما نجت آكلة الخضر.

3 (?) «اجترت»: اجتر البعير، الجرة: ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه. النهاية في غريب الحديث، (ص: 147).

4 (?) «خرج رجيعها عفوا من غير مشقة؛ لاسترخاء ذات بطنها، فيبقى نفعها، ويخرج فضولها، ولا يتأذى بها»، عمدة القاري (9/58).

5 (?) قال الأزهري – رحمه الله -: «فيه مثلان: ضرب أحدهما للمفرط في جمع الدنيا، ومنع ما

وحقيقة الابتلاء بالمال – كسائر أمور الحياة الدنيا – واضحة مقررة في كتابه الله **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾** [الملك: 2]، وقال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾** [محمد: 31]، ولذا ترى الناس مع المال على أصناف: بين منفق وممسك، ومسرف ومقتر، قال تعالى: **﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا﴾** [الإسراء: 100].

واعلم – رحمك الله – أن المال – أصلًا – مال الله، كما قال تعالى: **﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾** [النور: 33]، وإنما هو وديعة عند العبد، ولابد يومًا أن يردها، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ﴾** [الأنعام: 94].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو**

جمع من حقه، والمثل الآخر ضربه للمقتصد في جمع المال وبذله في حقه»، تهذيب اللغة (4/396).

لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى[1]**، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس»**[2]، رواه مسلم.

وقال : «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبع أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»[3]، رواه البخاري ومسلم.

وما المال والأهلون إلا وديعة ولابد يومًا أن تُرد الودائع[4]

والدنيا لا تدوم على حال، فاليوم مالك بيدك، وغدًا بيد وارثك، يتصرف فيه، له غنمه وعليك غرمه، **﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** [آل عمران: 140].

---

1 (?) قال الإمام النووي – رحمه الله -: أو أعطى فاقتنى: معناها ادخره لآخرته، أي: ادخر ثوابه، شرح مسلم (18/94).

2 (?) رواه مسلم في أول كتاب الزهد الرقائق، برقم (2959).

3 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، برقم (6514)، ومسلم في أول كتاب الزهد الرقائق، برقم (2960)، كلاهما من حديث أنس بن مالك .

4 (?) البيت لـ/لبيد بن ربيعة، ينظر: ديوان لبيد، (ص: 89).

وليتذكر العبد أنه موقوف بين يدي ربه يوم القيامة، ومسئول عن ماله، فيسأل عن تحصيله، ويسأل عن تصريفه، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ، فعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله : «**لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[1]، رواه الترمذي.

ومحبة المال أمر جبل عليه الإنسان، فلا يزال يستكثر منه، ويطلب الزيادة، قال تعالى: **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** [الفجر: 20]، وقال تعالى: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ** [الحديد: 20]، وقال تعالى: **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** [العاديات: 8]، و**الْخَيْرِ** هنا يراد به المال[2].

---

1 (?) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق، باب في القيامة، برقم (2417)، قال الألباني: (صحيح).

2 (?) قال المفسرون – كالطبري والقرطبي وابن كثير والبغوي، وغيرهم – في تفسير **الْخَيْرِ**: هو المال.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عباس قال: سمعت النبي يقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[1].

ولهذا كان الغالب من حال الناس أن من سألهم أموالهم استثقلوه وملوه، لأنه يسألهم ما يعز عليهم مفارقته، ويشق عليهم بذله، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي رجل، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس**»[2]، رواه ابن ماجه والحاكم.

ولقيمة المال عند الإنسان وأهميته البالغة صار حفظه من الضروريات الخمس التي اتفقت عليها الشرائع السماوية كلها، ومن أجل ذلك جاء الوعيد الشديد فيمن أخذ أموال الناس يريد إتلافها، فعن أبي هريرة

---

1 (?) رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، برقم (6436)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثًا، برقم (1049).

2 (?) ابن ماجه (4102) كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، قال الألباني: «صحيح» الحاكم (7873).

أن النبي ﷺ قال: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله**»[1]، رواه البخاري.

وقد حكمت الشريعة بقطع اليد في دينار يُسرق، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**تقطع يد السارق في ربع دينار**»[2]، وآخذ المال عن طريق السرقة معرض نفسه للعنة الله، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لعنه الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[3]، رواه الشيخان.

وممسك المال معذب به يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل، قال تعالى:

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم (2387).

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة: 38]،، برقم (6790)، ومسلم في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، برقم (1684).

[3] (?) رواه البخاري في كتاب الحدود وما يحذر منها، باب لعن السارق إذا لم يُسم، برقم (6783)، ومسلم في كتاب الحدود، باب حد السرقة ونصابها، برقم (1687).

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 34].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»[1]، رواه مسلم.

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها، إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه، تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها[2]، كلما نفدت**

---

[1] (?) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (987).

أخراها عادت عليه أولاها، حتى يقضى بين الناس»[1]، رواه مسلم.

ورب معذب في أمواله وثرواته في الدنيا وهو لا يشعر، قد تفرق شمله، وصار فقره بين عينيه، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [التوبة: 55]، وصدق رسوله ﷺ حيث يقول: «**من كانت الآخرة همه: جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة**[2]**، ومن كانت الدنيا همه: جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم**

---

2 (?) قال في النهاية في غريب الحديث، (ص: 581): الظلف للبقر والغنم، كالحافر للفرس والبغل، والخف للبعير.

1 (?) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، برقم (990).

2 (?) قال في تحفة الأحوذي (7/165): «وهي راغمة»: أي ذليلة حقيرة، تابعة له، لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير، بل تأتيه هينة لينة، على رغم أنفها، وأنف أربابها.

يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[3] رواه الترمذي.

فصل في حال النبي مع المال

خير من قام بحق المال رسول الله ، كيف لا؟ وهو القدوة الحسنة الذي يجب إتباعه، والسير على منهاجه، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21]، ولنعرض لنماذج من سيرته تحكي جوده وكرمه، وسخاءه، وبذله للمال.

---

3 (?) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب من كانت الآخرة همه، برقم (2465) من حديث أنس بن مالك ، قال الألباني: «صحيح»، وله شاهد من حديث زيد بن ثابت عند ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، برقم (4105).

فمن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أنس قال: كنت أمشي مع رسول الله وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله فضحك، ثم أمر له بعطاء[1].

وفي الصحيحين عن أبي ذر قال: قال رسول الله : «**ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا، تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار، إلا شيئًا أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا**» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم مشى، فقال: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا**»، عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، «**وقليل ما هم**»[2].

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (3149)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، برقم (1057).

وكان من دعائه : «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**»[1] رواه الشيخان، والقوت ما يسد الرمق، قال النووي – رحمه الله -: «وفيه: فضيلة التقلل من الدنيا، والاقتصار على القوت منها، والدعاء بذلك»[2].

وعن حكيم بن حزام قال: سألت النبي فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «**يا حكيم – إن هذا المال خضرة حلوة[3]، فمن أخذه**

---

2 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي : «**ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا**»، برقم (6444)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، برقم (94).

1 (?) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي وأصحابه...، برقم (6460)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، برقم (1055)، كلاهما عن أبي هريرة .

2 (?) شرح مسلم للنووي 7/146.

3 (?) «قال الهروي: (خضرة) يعني: غضة ناعمة طرية، وأصله من خضرة الشجر، وسمعت الأزهري يقول: أخذ الشيء خضرًا مضرًا؛ إذا أخذه بغير ثمن، وقيل: غضًا طريًا»، إكمال المعلم (6/589).
قال النووي – رحمه الله -: «شبهه في الرغبة فيه، والميل إليه، وحرص النفوس عليه، بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك على انفراده، فاجتماعهما أشد. وفيه إشارة إلى عدم بقائه، لأن

بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»[1]، ورواه الشيخان.

وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيشة الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، فعن عائشة رضي الله عنها: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله نار، قال – [القائل: عروة بن الزبير]: قلت: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح[2]، فكانوا

الخضروات لا تبقى، ولا تراد للبقاء، والله أعلم»، شرح مسلم (7/126).

1 (?) رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب الرقاق، باب قول النبي هذا المال خضرة حلوة، برقم (6441)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، برقم (1035).

2 (?) (**منائح**): منيحة اللبن كالناقة أو الشاة يعطيها الرجل آخر يحتلبها ثم يردها.

يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه[1].

وربما ربط ﷺ على بطنه الحجر من الجوع فعن أنس ﷺ قال: جئت رسول الله ﷺ يومًا فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة على حجر[2]، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع[3]، رواه مسلم.

طلبت فاطمة رضي الله عنها خادمًا يكفيها مؤنة بيتها، فأمرها ﷺ أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال: «**والله لا أعطيكما، وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم**»[4]، رواه أحمد، وزاد البيهقي في

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الهبة، باب الهبة وفضلها والتحريض عليها، برقم (2567)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (2972).

2 (?) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله -: «وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع؛ فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك، فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر. وقال الكرماني: لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء، فلا يتحلل شيء مما في البطن، فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل»، فتح الباري (7/495).

3 (?) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، برقم (2040).

4 (?) رواه أحمد (838).

(شعب الإيمان، رقم 3205): «من الجوع».

وعن علي أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فبلغها أن رسول الله أتى بسبي؛ فأتته تسأله خادمًا فلم توافقه، فذكرت لعائشة، فجاء النبي فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم فقال: «**على مكانكما**» حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: «**ألا أدلكما على خير مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه**»[1] رواه البخاري ومسلم.

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله والمساكين، برقم (3113)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، برقم (2727).

فضل في حث النبي على الصدقة

وكان يعطف على الضعفة والمساكين، ويرحم الأيتام والمحتاجين، فما أن تسد خلتهم، وتقضى حاجتهم، وتزول فاقتهم، حتى يرى على وجهه البشر والسرور، والبهجة والحبور، فعن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة، مجتابي النمار[1] أو العباء: متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر[2] وجه رسول الله لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذن، وأقام فصلى ثم خطب، فقال: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

---

1 (?) قال في النهاية في غريب الحديث: (**النمار**): كل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة، وجمعها: نمار، كأنها أخذت من لون النمر، لما فيها من السواد والبياض، أراد أنه جاءه قوم لابسي أزر مخططة من صوف.

2 (?) (تمعر وجهه): أي تلون الوجه غضبا، (الفاقة): الفقر والحاجة.

اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء: 1]، والآية التي في الحشر **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** [الحشر: 18]، تصدق[1] رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره»، حتى قال: «ولو بشق تمرة»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[2]، رواه مسلم.

---

[1] (?) معناه: ليتصدق، اللفظ لفظ الخبر، ومعناه الأمر.

وكان يرغب في الصدقة، ويحث على النفقة، فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله : «**يا ابن آدم: إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف**[1]**، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى**»[2]، رواه مسلم.

قال الإمام النووي – رحمه الله – في معناه: «إن بذلت الفضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك، لأن صاحب المال إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته، وهذا كله شر»[3].

ويقول : «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بمينيه، ثم**

---

2 (?) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، برقم (1017).

1 (?) ومعنى «لا تلام على كفاف»: أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه: شرح مسلم للنووي (7/127).

2 (?) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، برقم (1036).

3 (?) شرح مسلم (7/127).

يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه[1]**، حتى تكون مثل الجبل»**[2]، رواه الشيخان.

وتصديق هذا في كتاب الله **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** [البقرة: 261]، وقوله سبحانه: **يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** [البقرة: 276].

وقال : «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**»[3]، وقال : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**» - وأحسبه قال -:

---

[1] (?) الفلو: المهر، سمي بذلك: لأنه فلي عن أمه، أي فصل وعزل. شرح مسلم (7/99).

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، برقم (1410)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من كسب طيب، برقم (1014)، كلاهما عن أبي هريرة .

[3] (?) الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائمًا، برقم (807)، ابن ماجه في كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائمًا، برقم (1746)، كلاهما عن زيد بن خالد الجهني ، قال الألباني: «صحيح».

«**وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[1] رواه الشيخان، وقال ﷺ: «**كافل اليتيم له أو لغيره**[2]**، أنا وهو كهاتين في الجنة**»، وأشار مالك بالسبابة والوسطى[3]، رواه مسلم.

وكم في المجتمع من أيتام وأرامل ومعوزين، ومطلقات حولهن صغارًا لا يجدون أدوات الدراسة، ولا عائل لهم، ولا يسألون الناس إلحافًا، ولا يتفطن إليهم فيتصدق عليهم، ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ [البقرة: 273].

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس، فترده اللقمة**

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين، برقم (6007)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، برقم (2982)، كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

2 (?) وأما قوله: «**له أو لغيره**»: فالذي له أن يكون قريبًا له، كجده، وأمه، وجدته، وأخيه، وأخته، وعمه، وخاله، وعمته، وخالته، وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيًا، شرح مسلم (18/113).

3 (?) مسلم: (2983) كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة واليتيم، من حديث أبي هريرة ﷺ.

واللقمتان، والتمرة والتمرتان»، قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يجد غني يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئًا**»[1]، رواه البخاري ومسلم.

أخي الكريم: على قدر إيمان العبد تكون مواساته لإخوانه، مواساة بالمال والجاه والبدن، ومواساة بالنصيحة، والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار، ومواساة بالتوجع لهم؛ ففي الحديث أن النبي قال: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**»[2]، رواه البيهقي في الكبرى.

وكان يقول: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل**

---

1 (?) حديث أبي هريرة : رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: **لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** [البقرة: 273]، برقم (1479)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غني ولا يفطن له فيتصدق عليه، برقم: (1039).

2 (?) حديث ابن عباس رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الضحايا، باب صاحب المال لا يمنع المضطر فضلًا إن كان عنده، برقم (19668)، وينظر: صحيح الأدب المفرد باب لا يشبع دون جاره، رقم (112). قال المنذري: «رجاله ثقات».

الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]
رواه البخاري ومسلم.

* * *

3 (?) حديث النعمان بن بشير : رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم (6011)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم (2586).

فضل في ذكر نماذج من جوده وبذله وإيثاره

لقد كان نبينا أعظم الناس مواساةً لأصحابه بذلك كله، قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -: «**كان أعظم الناس صدقةً بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله تعالى، ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه، قليلًا كان أو كثيرا، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة.**

وكان إذا عرض له محتاج، آثره على نفسه، تارةً بطعامه، وتارةً بلباسه، وكان ينوع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعًا، كما فعل ببعير جابر[1]**، فيعطي أكثر من ثمنه،**

---

[1] (?) كما في حديث جابر عند البخاري (2097)، ومسلم (1466)، حين اشترى النبي منه جمله

ويقبل الهدية، ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطفًا وتنوعًا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن»[1].

ولم يزل على صفة الجود منذ نشأ، فقد قالت له خديجة رضي الله عنها حين أوحي إليه أول مرة، فرجع يرجف فؤاده فقال: «**زملوني زملوني**»، فزملوه حتى ذهب عنه الورع، فقال لخديجة، كلا، والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق[2] رواه الشيخان، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة، وتضاعفت أضعافًا كثيرة.

وفي الصحيحين عن أنس قال: كان رسول الله أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس[3].

في غزوة غزاها، ثم لما رجع المدينة، أعطى النبي الثمن لجابر، ورد عليه جمله، وقال: «**خذ جملك، ولك ثمنه**».

1 (?) زاد المعاد في هدي خير العباد (2/21-22) مختصرًا.

2 (?) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، برقم (3)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ، برقم (106)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

وأخرج الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه من حديث سهل بن سعد أن شملةً أهديت للنبي فلبسها وهو محتاج إليها، فسأله إياها رجل فأعطاه، فلامه الناس، وقالوا: ما أحسنت، سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يرد سائلًا، فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانت كفنه[1].

هو اليم من أي   **فلجته المعروف،**
تعود بسط الكف   **ثناها بقبض، لم**
ولو لم يكن في   **الله سائله**[2]

كان يضيف الفقراء ويدعو إلى إضافتهم، وكان يقول: «**شر الطعام طعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء، ويترك الفقراء**»[3]، رواه الشيخان.

---

[3] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، برقم (6033)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي وتقدمه للحرب، برقم (2307).

[1] (?) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب ذكر النساج، برقم (2093).

[2] (?) ديوان أبي تمام (3/29).

[3] (?) رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، برقم (5177)، ومسلم في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم (1432)،

وقال يومًا: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، أو سادس**».

قال عبد الرحمن بن أبي بكر : وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي بعشرة، ... الحديث[1]، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة عن النبي قال: «**إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين، أو لقمة أو لقمتين؛ فإنه ولي حره وعلاجه**»[2]، رواه الشيخان.

كلاهما عن أبي هريرة .

1 (?) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة قبل الإسلام، برقم (3581)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، برقم (2057).

2 (?) رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم، برقم (5460)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، برقم (1663).

قوله : «**فإنه ولي علاجه**»: «أي: الطعام عند تحصيل آلاته، وتحمل مشقة حره ودخانه عند الطبخ، وتعلقت به نفسه، وشم رائحته»، حاشية السندي على صحيح البخاري (2/39).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلًا أتى النبي فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله : «**من يضم، أو يضيف هذا؟**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله . فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ، فقال: «**ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما**»، فأنزل الله **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: 9] [1].

كان جوده كله لله وفي الله، **﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾** [الإنسان: 9]، فكان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه

---

[1] (?) رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب مناقب الأنصار، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، برقم (3798)، ومسلم كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، برقم (2054).

في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام ممن يتقوى الإسلام بإسلامه، فعن أنس أنه قال: ما سئل رسول الله على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاءًا لا يخشى الفاقة[1].

وفي رواية أقل أنس : إن كان الرج ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[2]، رواه مسلم.

وعن صفوان بن أمية قال: والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي[3]، رواه مسلم.

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -: «والأغنياء الشاكرون سبب لطاعة الفقراء

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سُئل رسول الله شيئًا فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم (2312).

2 (?) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سُئل رسول الله شيئًا فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم (2312).

3 (?) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئا فقال: لا، وكثرة عطائه، برقم (2313).

الصابرين؛ لتقويتهم إياهم بالصدقة عليهم، والإحسان عليهم، وإعانتهم على طاعتهم»[4].

* * *

فصل في

ذكر نماذج من جود الصحابة وبذلهم وإيثارهم

لقد تمثل أصحاب النبي هذا الخلق الكريم، وآثروا على أنفسهم مع ما بهم من الخصاصة، بل كان أحدهم يخرج إلى السوق، فيحمل على ظهره بالأجرة ليكتسب ما يتصدق به، فعن أبي مسعود

4 (?) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (ص: 485).

الأنصاري ظهره بالأجرة ليكتسب ما يتصدق به، فعن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رسول الله إذا أمر بالصدقة، انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل[1]، فيصيب المد[2]، رواه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن النبي قال: «**على كل مسلم صدقة**»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فيعمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدق**»، قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: «**فيعين ذا الحاجة الملهوف**»، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فيأمر بالخير، أو قال بالمعروف**»، قال: فإن لم يفعل؟ قال: «**فيمسك عن الشر؛ فإنه له صدقة**»[3].

---

1 (?) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في فتح الباري (4/569): قوله: «فيحامل»: أي يطلب أن يحمل بالأجرة، وقوله بـ«المد»: أي يحمل المتاع بالأجرة وهي مد من طعام، والمحاملة مفاعلة، وهي تكون بين اثنين، والمراد – هنا – أن الحمل من أحدهما، والأجرة من الآخر كالمساقاة والمزارعة.

2 (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، برقم (1416)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحمل بأجرة يتصدق بها، برقم (1018).

3 (?) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة، برقم (6022)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع

أولئك هم المؤمنون حقا **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** [الأنفال: 3-4].

لقد برهن الصحابة على صحة إيمانهم بصدقاتهم العظيمة، وأعطياتهم الجزيلة، فهذا عثمان يجهز جيشًا كاملًا – جيش العسرة -[1]، وعمر يأتي بنصف ماله، وأما أبو بكر فجاء بماله كله.

فعن عمر بن الخطاب قال: أمرنا رسول الله يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يومًا؛ فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله : «**ما أبقيت لأهلك**؟» قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله : «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا[2].

من المعروف، رقم (1008).

1 (?) روى البخاري في صحيحه من حديث عثمان قوله: ألستم تعلمون أنه – يعني رسول الله - قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»، فجهزتهم، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضا، أو بئرا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم (2778).

2 (?) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب، برقم (1678)، والترمذي في مناقب أبي بكر الصديق

تلك المكارم لا بعد أبوالا[1]

وللصحابة في المواساة القدح[2] المعلى، فكانوا كما وصفهم ربهم جلا وعلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]. وعن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع النبي إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله : «**من كان معه فضل ظهر**[3] **فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له**»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[4].

وعمر (3675) ، قال الألباني: «حسن».

1 (?) البيت من قصيدة لأبي الصلت بين ربيعة الثقفي، يمدح بها سيف بن ذي يزن، قال السيوطي في المزهر في علوم اللغة (1/183): «ترويه بنو عامر للنابغة، أي الجعدي، والرواة مجمعون أن أبا الصلت قاله».

2 (?) قال في الصحاح (2/394): «القدح بالكسر، السهم قبل أن يُراش ويُركب نصله».

3 (?) قوله : «**فضل ظهر**»: أي: مركب فاضل عن حاجته، عون المعبود (7/11).

4 (?) رواه مسلم في كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول الأموال، برقم (4614).

قال الإمام النووي – رحمه الله -: «في هذا الحديث: الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب. وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج، وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء، وتعريضه من غير سؤال، وهذا معنى قوله: «فجعل يصرف بصره» أي: متعرضًا لشيء يدفع به حاجته. وفيه: مواساة ابن السبيل، والصدقة عليه إذا كان محتاجًا، وإن كان له راحلة، وعليه ثياب، أو كان موسرًا في وطنه، ولهذا يعطى من الزكاة في هذه الحال، والله أعلم»[1].

ومن صور مواساة الصحابة – رضوان الله عليهم – لإخوانهم، ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع أن النبي أتى بجنازة ليصلي عليها، فقال: «**هل عليه من دين؟**»، قالوا: لا، فصلى عليه ثم أتى بجنازة أخرى، فقال: «**هل عليه من دين؟**» قالوا: نعم، قال: «**صلوى على صاحبكم**»، قال أبو قتادة: علي دينه يا رسول الله؛ فصلى عليه[2].

---

1 (?) شرح مسلم للنووي 12/259.

2 (?) رواه البخاري في كتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع، برقم (2295).

وعن أنس أنه قال قدم علينا عبد الرحمن بن عوف، وآخى رسول الله بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، سأقسم مالي بيني وبين شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، حتى إذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك،... الحديث[1]، رواه البخاري.

ومن صور المواساة – أيضًا – ما رواه أبو موسى الأشعري من ثناء النبي على الصحابة – رضوان الله عليهم – بقوله: «**إن الأشعريين إذا أرملوا[2] في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[3]، رواه الشيخان.

---

1 (?) البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار، برقم

2 (?) قوله: «أرملوا في الغزو»: أي: نفد زادهم، فتح الباري لابن حجر، المقدمة، (ص: 187).

3 (?) رواه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض، برقم (2486)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين ، برقم (2500).

قال الإمام النووي – رحمه الله -: «في هذا الحديث: فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم»[1].

وكان فقراء الصحابة يغبطون الأغنياء أهل الدثور، لا لأنهم يتمتعون بأموالهم ويتنعمون، بل لكونهم يتصدقون بها وهم لا يجدون ما به يتصدقون، فعن أبي هريرة قال: جاء الفقراء إلى النبي ، فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون. قال: «**ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم، ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله؟! تسبحون، تحمدون، وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**»، فاختلفنا بيننا، فقال بعضنا: نسبح ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين، ونكبر أربعًا وثلاثين، فرجعت إليه، فقال: تقول: «**سبحان الله والحمد لله والله أكبر، حتى يكون**

---

1 (?) شرح مسلم: 16/62.

منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين»[1]، رواه البخاري ومسلم.

ولقد كان الصحابة أسرع الناس استجابة لأمر الله ورسوله إذا جاءتهم الدعوة للإنفاق والتصدق. لا جرم! فقد كانوا من أحرص الناس على الخير كله، وأسبق الناس إليه، يضربون في كل باب من أبواب الخير بسهم راجح، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**»، قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»، قال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**». قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله : «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة**»[2]، رواه مسلم.

وها هم يجودون بأفضل أموالهم، وأنفسها وأحبها إليهم، فعن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الآذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم (843)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، برقم (595).

2 (?) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ، برقم (1028).

من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: 92]، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إن الله – تبارك وتعالى – يقول: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**بخ**[1]**، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبو طلحة، أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[2]، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عمر ﷺ قال: أصاب عمر بخيبر أرضًا، فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضًا لم

---

1 (?) بخ: هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه، النهاية في غريب الحديث، (ص: 64).

2 (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، برقم (1461)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، برقم (998).

أصب مالًا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «**إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها**»، فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء والقربى والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقًا غير متمول فيه[1]، رواه الشيخان.

وعن عثمان أن رسول الله قال: «**من حفر رومة[2] فله الجنة**»، فحفرتها، وقال : «**من جهز جيش العسرة[3] فله الجنة**»، فجهزتهم[4]، رواه البخاري.

وعن ابن عمر قال: لما نزل قوله تعالى: **لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ** [آل عمران: 92]، ذكرت ما أعطاني الله فلم أجد شيئًا أحب إلي من

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب؟ برقم (2772)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوقف، برقم (1632).

2 (?) بئر رومة – هي بضم الراء: بئر بالمدينة، اشتراها عثمان وسبلها. النهاية في غريب الحديث، (ص: 384).

3 (?) وهي غزوة تبوك، سميت بذلك؛ لمشقة السفر إليها، فتح الباري المقدمة، (ص: 242).

4 (?) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضا، أو بئرا، واشتراط لنفسه مثل دلاء المسلمين، برقم (2778).

جارية رومية فأعتقتها، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها[1].

وعن ابن مسعود قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله، فقال : «**لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة**»[2]، أو «**لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة**»، رواه مسلم.

وللنساء الصالحات، من المؤمنات القانتات مع الصدقة مواقف وأحوال، ضربن فيها أروع المثل في البذل والسخاء، والجود والعطاء، فلله درهن من فضليات، زاحمن الرجال في المكرمات.

ودونكم خبر الصديقة بنت الصديق، أم المؤمنين، الطاهرة الزكية، عائشة رضي الله عنها، سيرتها تنضح بالإنفاق في وجوه البر والخير، فما تأخرت عن بذل يومًا، ولا أمسكت عن معروف يدًا، يقول الإمام الذهبي – رحمه الله – في السير: «كانت

---

1 (?) تفسير ابن كثير (2/74).

2 (?) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة في سبيل الله، برقم (1892).
«**ناقة مخطومة**»: أي: عليها خطامها؛ أي: زمامها.

أم المؤمنين – عائشة – من أكرم أهل زمانها، ولها في السخاء أخبار»، وعند البخاري[1] أنها أعتقت في نذر لها أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك؛ فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

 وأخرج أبو نعيم – رحمه الله – أن معاوية بعث مرةً إلى عائشة رضي الله عنها بمائة ألف درهم، فوالله ما أمست حتى فرقتها، وعن أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين[2]، يكون مائة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست، قالت: هاتي يا جارية فطوري، فقالت أم ذر: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم؟ قالت: لا تعنفيني، لو أذكرتيني لفعلت[3].

---

1 (?) وفيه: أن عائشة رضي الله عنها حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع، أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة، أو لأخرجن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا... الحديث، رواه البخاري في كتاب الهجرة، باب الأدب، رقم (6075).

2 (?) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق، (ج) غرائر. المعجم الوسيط، (ص: 648).

3 (?) سير أعلام النبلاء (2/187).

وأما أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها فكانت من أكثر النساء صدقة حتى سُميت بـ(أم المساكين)، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم وأعظم صدقة، واشد ابتذالًا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى»[1] رواه مسلم، وعنها رضي الله عنها قالت: «**فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق**»[2]، رواه مسلم.

* * *

---

[1] (?) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، برقم (2442).

[2] (?) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب في فضل زينب رضي الله عنها، برقم (2452).

فصل في حال العلماء مع الصدقة

كان الإمام عبد الله بن المبارك – رحمه الله – من الأسخياء الأخفياء، ففي تاريخ بغداد: كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرطوس[1]، وكان ينزل الرقة[2] في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، قال: فقدم عبد الله الرقة مرةً فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلًا فخرج في النفير، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة سأل عن الشاب، قال: فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه، فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال،

---

1 (?) قال في (معجم البلدان 4/28): «طرطوس» - بفتح أوله وثانيه -: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، انتهى. والعامة تقول: «طرطوس» بسكون الراء، والصواب فتحها.

2 (?) «الرقة»: كل أرض إلى جنب واد، ينبسط الماء عليها أيام المد ثم ينضب، ج: رقاق، القاموس المحيط، (ص: 887).
و«الخان»: النزل أو الفندق، مختار الصحاح، (ص: 81)، وفي لسان العرب (10/319): والفندق بلغة أهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن.

فدعا به ليلًا ووزن له عشرة آلاف درهم، وحلفه أن لا يخبر أحدًا ما دام عبد الله حيًا، وقال: إذا أصبحت، فأخرج الرجل من الحبس، وأدلج عبد الله، فأخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان ها هنا، وكان يذكرك، وقد خرج؛ فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى، أين كنت، لم أرك في الخان؟ قال: نعم، يا أبا عبد الرحمن، كنت محبوسًا بدين، قال: فكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل فقضى ديني، ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس، فقال له بعد الله: يا فتى، احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك، فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا إلا بعد موت عبد الله[1].

وكان ابن المبارك – رحمه الله – إذا كان وقت الحج، اجتمع عليه إخوانه من أهل مرو[2] فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لها، ويخرجهم من مرو إلى بغداد،

---

1 (?) تاريخ بغداد (11/396-397).

2 (?) قال في معجم البلدان (5/112-113): «مرو»: أشهر مدن خراسان، والنسبة إليها مروزي، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخًا.

فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ، فإذا صاروا إلى المدينة، قال لكل رجل منهم: ما أمروك عيالك أن تشترك لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة، وقضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمروك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصل إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه. قال أبي[1]: أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة، فقدم إلى الناس

---

[1] (?) القائل: محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، وأبوه: علي بن الحسن بن شقيق رحمهما الله.

خمسة وعشرين خوانًا[1] فالوذج[2]. قال أبي: وبلغني أنه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما اتجرت. قال أبي: وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مئة ألف درهم[3].

قال عبد الله بن صالح: صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع الناس، وكان له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها، أما أولها فيجلس لنائبه السلطان في نوائبه وحوائجه، وكان الليث يغشاه السلطان، فإذا أنكر من القاضي أمرًا، أو من السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل، ويجلس لأصحاب الحديث، وكان يقول: نجحوا أصحاب الحوانيت؛ فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم، ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه، ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده، كبرت حاجته أو صغرت. قال: وكان يطعم الناس في الشتاء

---

1 (?) الخوان – كغراب وكتاب: هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، ج: أخونة – في القليل، وخون – في الكثير، والفرق بين الخوان والمائدة أنها لا تسمى مائدة إلا إذا كان عليها طعام. يُنظر: النهاية في غريب الحديث، (ص: 290)، ولسان العرب (4/248)، وغيرهما.

2 (?) حلوى تعمل من الدقيق والماء والعسل.

3 (?) تاريخ بغداد (11/395).

الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر[1].

وقال الإمام عمر بن علي البزار[2] – رحمه الله – في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: «كان مجبولًا على الكرم، لا يتطبعه ولا يتصنعه، بل هو له سجية، وقد ذكرت فيما تقدم أنه ما شد على دينار ولا درهم قط، بل كان مهما قدر على شيء من ذلك يجود به كله، وكان لا يرد من يسأله شيئًا يقدر عليه من دراهم ولا دنانير، ولا ثياب ولا كتب، ولا غير ذلك، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئًا من النفقة، فإن كان حينئذ متعذرًا لا يدعه يذهب بلا شيء، بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه، وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله»[3].

وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري – رحمه الله – كثير الصدقة مع إخفائها، «وكان له

---

1 (?) المصدر السابق (14/532).

2 (?) هو أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار البغدادي، المتوفى سنة 749هـ، وهو من أصحاب شيخ الإسلام وتلامذته، وهو غير الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، صاحب المسند – المسمى البحر الزخار، والمتوفى سنة 292هـ.

3 (?) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (1/59).

جماعة يرتب لهم من صدقته ما يكفيهم إلى يوم، وإلى جمعة، وإلى شهر، وكان يبالغ في إخفاء ذلك حتى كان غالب الناس يعتقدون في الشيخ قلة الصدقة»[1].

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله -: «وشاهدت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – إذا خرج إلى الجمعة، يأخذ ما وجد في البيت من خبز أو غيره فيتصدق به في طريقه سرًا، وسمعته يقول: «إذا كان الله قد أمر بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ، فالصدقة بين يدي مناجاته تعالى أفضل وأولى بالفضيلة»[2]. يشير – رحمه الله – إلى قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [المجادلة: 12].

«ولا أظن أحدًا في هذا الزمن فتح على يديه من أبواب البر، وصنوف الخير، ومشاريع الإحسان مثل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله -، وما أظن هنالك أرضًا أشرقت عليها الشمس ولم

---

1 (?) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة 1/204.

2 (?) زاد المعاد 1/395.

يصلها شيء من بذل هذا الرجل وفضله، إما منة مباشرة، وإما من أهل الخير وذوي الإحسان الذين كانوا يجعلون عطاءهم وإحسانهم، وصدقاتهم وزكواتهم عن طريقه، آلاف المساجد، ومئات المدارس، وعشرات الجامعات، وآلاف الحلقات، وآلاف الدعاة، وآلاف الفقراء والمساكين في الداخل والخارج، كانوا – بعد الله – يعيشون على ما يصلهم من طريقه – رحمه الله»[1].

ومن أمتع القصص في جوده وكرمه – رحمه الله – أن أحد طلبة العلم الذين يحبونه قال: يا سماحة الشيخ، أرغب منك في هدية أتذكرك بها كل ما رأيتها، فقال الشيخ: «خيرًا إن شاء الله، صل معنا العشاء، وأبشر»، فقام الشيخ إلى المسجد لصلاة العشاء، فقال الرجل للشيخ محمد الموسى: يا شيخ محمد، سماحة الشيخ وعدني بهدية بعد العشاء، وأخاف أن ينسى، فأريد منك أن تذكره، فقال له: حسنًا، فجاء الرجل إلى الشيخ بعد صلاة العشاء، فما كان من الشيخ إلا أن خلع

---

[1] (?) إمام العصر الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله -، (ص: 123-124).

بشته – عباءته – من على كتفيه وأعطاه، وقال له: خذ هديتك مني[1].

وسيره الشيخ في البذل لا تخفى، ومن ذلك أنا كنا في محل إقامته في منى في موسم الحج، فأتاه رجل جهوري الصوت فناداه ملتمسًا المساعدة، وذكر له أن نفقته سرقت أو ضاعت، وقدرها ستة آلاف ريال، فوعده الشيخ خيرًا، وطلب منه أن ينزل معه إلى مكة إذا نزل.

وقد حضرت مجلسًا من مجالس سماحته - رحمه الله -، فكان يقرأ عليه من تفسير الحافظ ابن كثير – رحمه الله -، حتى إذا بلغ القارئ قوله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 280]، استرسل في قراءة ما أورده الحافظ ابن كثير من الأحاديث، فلما مر بقوله ﷺ: «من نفس عن غريمه أو محى عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»[2] رواه أحمد، أجهش الشيخ – رحمه الله – بالبكاء، وسمع نشيجه جراء ما سمع من بيان حسن العاقبة في التنفيس عن الغرماء والمحو عنهم، إذ يستظل العبد في

---

1 (?) المرجع السابق، ص(: 156).
2 (?) رواه أحمد: (22612) عن أبي قتادة ﷺ.

ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، وينجو من حر يوم القيامة كما أنجا إخوانه من حر المطالبة، وينفس عنه من أهواله جزاء ما نفس عنهم.

* * *

فضل في فضائل الصدقة وآثارها

فضائل الصدقة أكثر من أن تحويها رسالة مختصرة كهذه، وهل خطر على بالك – أخي المبارك - أنَّ الصدقة من مسائل الاعتقاد؟! نعم، إن الأمر كذلك، فعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله كان يقول: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والصوم جنة، والصبر ضياء، والصدقة برهان**»[1].

[1] (?) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم (223).

قال الإمام النووي – رحمه الله -: «قالوا: وسميت صدقة، لأنها دليل لتصديق صاحبها، وصحة إيمانه، بظاهره وباطنه»[1].

وتذكر – أيها المبارك – أن أول مستفيد من صدقتك هو أنت، قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة: 103]، وهذا وحده كاف في كون المتصدق يبحث عن الفقير بنفسه، قال الشعبي – رحمه الله -: «من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب ها وجهه»[2].

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -:
«ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكاد يفطن لها: أنه يغلق عليه بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئًا من القوت؛ ليعرفه نعمته عليه»[3].

ووجود من يقبل الصدقة من المساكين مَن مِن الله على الأغنياء، وفرصة ينبغي ألا تفوت، وقد أرشد النبي ﷺ إلى اغتنام الفرص، وحذر من تفويتها، فقال ﷺ:

---

1 (?) شرح مسلم (7/48).
2 (?) إحياء علوم الدين (1/227).
3 (?) عدة الصابرين، (ص: 263).

«تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها، يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها»[1]، رواه الشيخان.

واحذر – أيها المبارك – أن تستكثر ما أعطيت، وإن كان كثيرا، ﴿**وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ**﴾ [المدثر: 6]، فالمنة لله وحده حينما حرك قلبك للبذل.

1- من فضائل الصدقة ما جاء في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم – رحمه الله – في صحيحه عن أبي هريرة قال رسول الله : «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته؛ لوجدتني عنده، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب، وكيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟ قال:**

---

[1] (?) حديث حارثة بن وهب : رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، برقم (1411)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، برقم (1011).

أما علمت أنك استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته؛ لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب، كيف أسقيك، وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته؛ وجدت ذلك عندي»[1].

ومن فضائل الصدقة وآثارها:

2- أن الصدقة بالمال – مع حبه – سبب في سلامة المرء من أهوال القيامة، قال تعالى واصفًا حال الأبرار، وما لهم حين القدوم عليه سبحانه: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا *إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾** [الإنسان: 8-11].

3- أن للصدقة وفعل المعروف والإحسان تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدر وراحة القلب، فالكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، والبخيل الذي

---

[1] (?) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم (2569).

ليس منه إحسان أضيق الناس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم همًا، ولهذا فقد كان نبينا في ذروة الكمال من شرح الصدر، ورفع الذكر، ووضع الوزر، وانضاف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالنبوة والرسالة، وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسًا، وإخراج حظ الشيطان منه[1].

قال العلامة السعدي – رحمه الله -: «والصدقة تشرح الصدر، وتفرح النفس، وتدفع عن العبد من البلايا والأسقام شيئًا كثيرًا. فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية! وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام! وكم خففت الآلام! وكم أزالت من عداوات، وجلبت مودة وصداقات! وكم تسبب لأدعية مستجابة من قلوب صادقات! وهي أيضًا تنمي المال المخرج منه، فإنها تقيه الآفات، وتحل فيه البركة الإلهية».

4- الصدقة تندفع الآفات وتحل البركات، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله -: «فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو من ظالم، بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس،

---

1 (?) ينظر: زاد المعاد (2/20).

خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه»[1].

وقال – أيضًا -: «فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمه بمثل طاعته والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه»[2].

وقال – أيضًا -: «وكل طبيب لا يُداوي العليل بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيب، بل متطبب قاصر»[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -: «ولم أر مثل الصدقة في انشراح النفوس، ولو طبق أولئك الذين يعانون من الضائقات النفسية فبادروا إلى الصدقات لزال عنهم – بإذن الله – ما يشتكون».

5- بالصدقة حط السيئات، ورفع الدرجات، قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة: 103].

---

[1] (?) الوابل الصيب، (ص: 69).
[2] (?) الجواب الكافي، (ص: 31).
[3] (?) زاد المعاد (4/132).

«فقوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات، وقوله: «تزكيهم» إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات»[1].

وقال العلامة البغوي – رحمه الله -: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ ترفعهم من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين»[2].

6- الصدقة تكفر فتنة الرجل في أهله وولده، فعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة، والصدقة، والمعروف**»[3]، رواه البخاري.

«قال ابن بطال – رحمه الله -: «فتنة الرجل في أهله» أن يأتي من أجلهم ما لا يحل له من القول أو العمل مما لم يبلغ كبيرة,... «فتنة الرجل في ولده» فرط محبتهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، أو التوغل في الاكتساب من أجلهم، من غير اكتراث من أن يكون من حلال أو حرام»[4].

---

1 (?) التحرير والتنوير (11/23).

2 (?) تفسير البغوي (4/91).

3 (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة تكفر الخطيئة، برقم (1435).

4 (?) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (5/13).

7- وللصدقة أثر حسن عند الموت، ففي الحديث: «**إن صدقة السر لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء**» صححه[1] ابن حبان.

قال ابن العربي المالكي – رحمه الله -: «وحقيقة ميتة السوء أن تكون الميتة في سبيل معصية الله»[2].

قال الحافظ العراقي – رحمه الله -: «الظاهر أن المراد بها ما استعاذ منه النبي ، الهدم، والتردي، والغرق، والحرق، وأن يتخبطه الشيطان عند الموت، وأن يُقتل في سبيل الله مدبرًا»[3].

8- وما أسعد المتصدق في يوم تدنو فيه الشمس قدر ميل من رؤوس الخلائق، حيث يكون في ظل صدقته حتى يُفصل بين الناس، ففي الصحيحين قال : «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، وذكر منهم: «**ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق**

---

1 (?) رواه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، من حديث أنس ، برقم (664).

2 (?) عارضه الأحوذي 2/122.

3 (?) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي 3/330.

يمينه»[1]، فصدقة السر من أسباب إظلال الله تعالى لعبده يوم القيامة.

وعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله يقول: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس، أو قال: حتى يحكم بين الناس**»[2] رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم، وكان أبو الخير[3] لا يخطئه يوم لا يتصدق منه بشيء، ولو كعكة، ولو بصلة.

وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العباد وهم سجود، فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم، فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها، ولا يشعرون بمكانه[4].

9- بالصدقة يندفع عذاب الله تعالى إذا انعقدت أسبابه، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، برقم (660)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم (1031)، كلاهما من حديث أبي هريرة .

2 (?) رواه أحمد (17333)، وابن خزيمة (2431)، والحاكم في المستدرك (1517)، وقال: صحيح على شرط مسلم.

3 (?) هو مرثد بن عبد الله اليزني، راوي الحديث عن عقبة بن عامر .

4 (?) مختصر منهاج القاصدين، (ص: 52).

قال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتهم ذلك فادعوا الله، وكبروا وصلوا، وتصدقوا**»[1].

10- بالصدقة نجاة الأمة من الهلاك، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال: «**اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[2] رواه مسلم، فالصدقة إذًا حصن حصين، وسد منيع، وحمىً متين للمجتمع من جرائم السطو والانتقام.

وقد ربط الله تعالى بين عدم الإنفاق والتهلكة في قوله تعالى: **وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** [البقرة: 195].

والشحيح الممسك، معاقب بإتلاف ماله، فعن أبي هريرة أن النبي قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان**

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، برقم (1044)، ومسلم في كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، برقم (907).

[2] (?) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (2578).

ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»، رواه الشيخان[1].

وتأمل قصة أصحاب الجنة الذين قال الله عنهم: **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾** [القلم: 17-24]. فهم عزموا، وتواطئوا على حرمان الفقراء، فعاجلتهم العقوبة في الصباح.

والحرص والشح من أسباب سلب النعم، وإحلال النقم، وتأمل معي في قصة الثلاثة عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله يقول: «**إن ثلاثة في بني إسرائيل:**

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: **﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى *فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾** [الليل: 5-10]، برقم (1442)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، برقم (1010).

أبرص، وأقرع، وأعمى، بدا لله[2] أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن؛ قد قذرني الناس. قال: فمسحه؛ فذهب عنه، فأعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل، أو قال: البقر – هو شك في ذلك، إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر – فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها. وأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا؛ قد قذرني الناس، قال: فمسحه؛ فذهب، وأعطي شعرًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة

---

2 (?) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله - «قوله: «**بدا لله**» - بتخفيف الدال المهملة بغير همز: - أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيًا؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى» فتح الباري (6/613).
وقال الإمام ابن الأثير – رحمه الله -: «**بدا لله** ‍ **أن يبتليهم**» أي: قضى بذلك، وهو معنى البداء ها هنا؛ لأن القضاء سابق. والبداء: استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله ‍ غير جائز» النهاية في غريب الحديث، (ص: 68).

حاملًا، وقال: يبارك لك فيها. وأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري؛ فأبصر به الناس، قال: فمسحه؛ فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والدًا، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا، فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل

مسكين، وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى، فرد الله بصري، وفقيرًا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك»[1]، رواه الشيخان.

11- بالصدقة يستجن العبد من النار، ويتقي سخط الجبار، فعن عدي بن حاتم أن رسول الله قال: «**ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالًا؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولًا؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد**

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، برقم (3464)، ومسلم في أول كتاب الزهد والرقائق، برقم (2964).

فبكلمة طيبة»[1] رواه البخاري، فلا تحقرن من المعروف شيئًا، فإن القليل بالقليل يكثر، قال رسول الله ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف درهم**»، قالوا: وكيف؟ قال: «**كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها**»[2]، رواه النسائي من حديث أبي هريرة ﷺ.

12- الصدقة سبب في نجاة العبد من عذاب الله، وفكاكه منه، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لما خطب النبي ﷺ النساء يوم العيد، قال لهن: «**يا معشر النساء تصدقن؛ فإن أريتكن أكثر أهل النار**»[3]، رواه الشيخان.

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، برقم (1413)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، برقم (1016).

2 (?) رواه النسائي في كتاب الزكاة، باب جهد المقل، برقم (2539)، وابن خزيمة – في صحيحه – في كتاب الزكاة، باب صدقة المقل إذا أبقى لنفسه قدر حاجته، برقم (2443).

3 (?) رواه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، برقم (304)، وورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، برقم (79) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، ولفظه: «**يا معشر النساء: تصدقن، وأكثرن**

13- الصدقة من أعظم أسباب عون الله للعبد على الطاعة، وتيسيرها عليه، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى *وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل: 5-10].

فما أحوجنا إلى ما يؤدي إلى هذه الغاية، خصوصًا في هذا الزمن الذي كثرت فيه الصوارف عن الطاعات، فمن أراد تيسير العبادة فعليه بالصدقة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[1] رواه مسلم، وإن أعظم العون عون الله عبده على طاعته ومرضاته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: «تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5]»[2].

14- الصدقة سبب في استمالة قلوب الناس، ومحبتهم، واحترامهم، فإن النفوس

الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار».

1 (?) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم (2699).

2 (?) مدارج السالكين (1/90).

مجبولة على حب من أحسن إليها، وهذه من أعظم نعم الله، وتلك عاجل بشرى المؤمن، **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [مريم: 96].

فابذل المال في سبل الخير، وكن سخيًا به، فـ«السخي قريب من الله تعالى، ومن خلقه، ومن أهله، وقريب من الجنة، وبعيد من النار، والبخيل بعيد من خلقه، بعيد من الجنة، قريب من النار»(1).

قال بعض الحكماء: «جود الرجل يحببه إلى أضداده، وبخله يبغضه إلى أولاده»(2).

وقيل: «من عظمت مرافقه، أعظمه مرافقه»(3).

ويظهر عيب	**ويستره عنهم**
تغط بأثواب	**فالسخاء غطاؤه**(4)

15- الصدقة سبب لدخول الجنة، فعن علي قال رسول الله : «**إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**»، فقام أعرابي،

1 (?) الوابل الصيب، (ص: 76).
2 (?) أدب الدنيا والدين، (ص: 198).
3 (?) المصدر السابق، (ص: 203).
4 (?) الوابل الصيب، (ص: 76).

فقام: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى لله بالليل والناس نيام**»[1]، رواه الترمذي، وحسنه الألباني.

وأول ما قدم النبي المدينة مهاجرًا، كان من وصيته الأمر بإطعام الطعام، فعن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله المدينة، انجفل[2] الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: «**يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[3]، رواه الترمذي وابن ماجه.

ولن يعدم المسلم من صدقته خيرًا، حتى لو وقعت في يد سارق، أو طير، أو دابة، أو

---

1 (?) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف، برقم (1984)، وحسنه الألباني.

2 (?) قال في النهاية في غريب الحديث، (ص: 157): أي ذهبوا مسرعين نحوه، قال: جفل، وأجفل، وانجفل.

3 (?) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، برقم (2485)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل، برقم (1334)، وصححه الألباني.

غير ذلك، وذلك فضل الله، فعن جابر بن عبد الله ، قال: قال : «**لا يغرس مسلم غرسًا، ولا يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان ولا دابة، ولا شيء إلا كانت له صدقة**»[1]، رواه مسلم.

وعن أنس قال: قال رسول الله : «**ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه[2] أحد إلا كان له صدقة**»[3]، رواه مسلم.

16- الصدقة وظيفة المسلم اليومية، ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي قال: «ما **من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[4].

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، برقم (1553).

2 (?) «يزرؤه»: أي ينقصه ويأخذ منه، شرح مسلم للنووي (10/213).

3 (?) رواه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، برقم (1552).

4 (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن

وعن أبي ذر عن النبي أنه قال: «**يصبح على كل سلامي**[1] **من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»[2]، رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت النبي يقول: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء**

بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى [الليل: 5-10]، برقم (1442)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، برقم (1010).

1 (?) قال ابن الأثير – رحمه الله -: «السلامي: جمع سلامية، وهي الأنملة من أنامل الأصبع، وقيل: واحدة وجمعه سواء، ويجمع على سلاميات، وهي التي بين كل مفصلين من أصابع الإنسان، وقيل: السلامي: كل عظم مجوف من صغار العظام، المعنى على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة». النهاية في غريب الحديث، (ص: 443).

2 (?) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، برقم (720).

الليل وآناء النهار»[1]، ففيه دعوة لتكرار الصدقة كل يوم.

والصدقة عن الأموات سبيل لتحقيق أمانيهم من وصول الأجر إليهم، فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا سأل النبي فقال: إن أمي افتلت نفسها[2]، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[3]، رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس أن رجلًا قال لرسول الله إن أمه توفيت، أينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**». قال: فإن لي مخرافًا[4]،

---

1 (?) البخاري في كتاب التوحيد، باب قول النبي : رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل والنهار، برقم (7529)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم (815).

2 (?) «افتلتت نفسها»: أي ماتت فجأة، وأخذت نفسها فلتة، النهاية في غريب الحديث، (ص: 715).

3 (?) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب موت الفجأة، البغتة، برقم (1388)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، برقم (1004).

4 (?) المخراف: هو حائط النخل، والبستان، فيه الفاكهة التي تخرف.

وأشهدك أني قد تصدقت عنها[5]، رواه البخاري.

فصل في بيان أعظم الصدقة وأفضلها

أعظم الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان**»[1].

قال الإمام ابن بطال – رحمه الله -: «لما كان الشح غالبًا في الصحة، فالسماح فيه بالتصدق أصدق في النية وأعظم للأجر، بخلاف من يئس من الحياة، ورأى مصير المال لغيره»[2]، قال تعالى: **وَأُحْضِرَتِ**

---

5 (?) رواه البخاري في كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضا ولم يبين الحدود فهو جائز، وكذلك الصدقة، برقم (2770).

1 (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، وصدقة الصحيح الشحيح، برقم (1419)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، برقم (1032).

2 (?) فتح الباري (3/360-361).

الأَنفُسُ الشُّحَّ [النساء: 128]، وقال سبحانه: **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** [الحشر: 9].

وأفضل النفقة نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأهله، سدًا لحاجتهم، وإعفافًا وإغناءً لهم كما دلت على ذلك السنة المطهرة، فعن ثوبان قال: قال رسول الله : «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**»[1]، رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن أبي مسعود البدري عن النبي قال: «**إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة**»[2].

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضعيفهم، برقم (664).

2 (?) رواه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، برقم (5351)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين، برقم (1002).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[1]، رواه مسلم.

وعنه قال: أمر النبي بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله، عندي دينار، فقال: «**تصدق به على نفسك**»، قال: عندي آخر، قال: «**تصدق به على ولدك**»، قال: عندي آخر، قال: «**تصدق به على زوجتك – أو قال - زوجك**»، قال: عندي آخر، قال: «**تصدق به على خادمك**»، قال: عندي آخر، قال: «**أنت أبصر**»[2]، رواه أبو داود.

وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال: «**إنك لن تنفق نفقة، تبتغي بها وجه الله، إلا أجرت عليها، حتى ما**

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم، أو حبس نفقتهم عنهم، برقم (995).

2 (?) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، برقم (1691)، قال الشيخ الألباني: «حسن»، ورواه النسائي في كتاب الزكاة، باب بتفسير ذلك، برقم (2535).

تجعل في فيَّ امرأتك»[1]، رواه الشيخان.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل: فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة، فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي علينا فأخبرته، فقال: «**من ابتلى من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار»**[2].

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها؛ فذكرت الذي صنعت لرسول الله فقال: «**إن الله قد**

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب حجة الوداع، برقم (4409)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، برقم (1628).

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، برقم (1418)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (2629).

أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار»[1]، رواه مسلم.

والصدقة على ذوي القربى فيها أجران، أجر الصدقة وصلة الرحم، ففي الحديث: «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذوي الرحم اثنتان، صدقة وصلة»**[2]، رواه الترمذي والنسائي.

وفي الصحيحين أن امرأتين سألتا النبي ﷺ: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما، وعلى أيتام في حجورهما، فأجاب ﷺ: «**لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة»**[3].

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، برقم (2630).

2 (?) حديث سلمان بن عامر الضبي ﷺ: رواه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة، برقم (658)، والنسائي في كتاب الزكاة، الصدقة على الأقارب، برقم (2582)، قال الألباني: «صحيح».

3 (?) حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ: رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، برقم (1466)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، والزوج، والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين، برقم (1000). قال الإمام النووي: «فيه الحث على الصدقة على الأقارب، وصلة الأرحام، وأن فيها أجرين»، شرح مسلم (7/88).

والنفقة على الأقارب سبب في بسط الرزق، فعن أنس بن مالك أن رسول الله قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره**[1]**، فليصل رحمه**»[2]، رواه البخاري ومسلم.

وصلة الأقارب الذين لا يصلون سبب في عون الله، وحسن العاقبة، فعن أبي هريرة

---

1 (?) قال الإمام النووي – رحمه الله -: «ينسأ» - مهموز: أي: يؤخر، و«الأثر» الأجل، لأنه تابع للحياة في أثرها...، وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور، وهو: أن الآجال والأرزاق مقدرة، لا تزيد ولا تنقص: **فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ** وأجاب العلماء بأجوبة: الصحيح منها: أن هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك

والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أنه يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: **يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** [الرعد: 39]، فيه النسبة إلى علم الله تعالى، وما سبق به قدره ولا زيادة، بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث.

والثالث: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف، أو باطل، والله أعلم، شرح مسلم (16/114-115).

2 (?) قال الإمام النووي – رحمه الله -: «ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه

 أن رجلًا قال: يا رسول الله : إن لي قرابة، أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل**[1]**، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[2]، رواه مسلم، وقال : «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**» أخرجه ابن خزيمة[3]، والكاشح: هو الذي يضمر لك العداوة، قال ابن عبد البر – رحمه الله -: المبغض المعادي.

قال تعالى: **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى**

لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه. وقيل: معناه أنك بالإحسان إليهم تخزيهم، وتحقرهم في أنفسهم، لكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم.. كمن يسف المل. وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك، كالمل يحرق أحشاءهم» شرح مسلم (16/15).

1 (?) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، وتحريم قطعها، برقم (2558).

2 (?) رواه ابن خزيمة في باب فضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح، برقم (2386).

3 (?) رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم (5986)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، وتحريم قطعها، برقم (2557).

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [النور: 22].

وجاء في حديث الإفك أن مسطح بن أثاثة كان ممن تحدثوا به، فقال أبو بكر الصديق ، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى** الآية، قال أبو بكر: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدًا[1]، رواه مسلم.

ومن أجل الصدقات: «الصدقة على الجار»، فإن الجار هو أقرب الناس منك، وأخبر الناس بأحوالك، فلا تمنعه فضلك، والإحسان إلى الجيران من دلائل الإيمان، فعن أبي شريح الخزاعي أن النبي قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره**»[2]، رواه البخاري ومسلم.

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، برقم (2770).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ﷺ، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**[1]»[2]، رواه البخاري.

ولم يزل الإسلام يوصي بالجار، حتى ظن النبي ﷺ أن جبريل سيجعله وارثًا لجاره ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»[3].

---

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (6019)، ومسلم - واللفظ له – في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف...، برقم (48).

[1] (?) قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في فتح الباري (10/549): «قوله: «أقربهما»: أي: أشدهما قربًا، قيل: الحكمة فيه أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها؛ فيتشوف لها، بخلاف الأبعد، وأن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات، ولاسيما في أوقات الغفلة».

[2] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب، برقم (6020).

[3] (?) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، برقم (6015)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، برقم (2625).

وإن من أعظم الصدقة «النفقة على الجهاد في سبيل الله»، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 10-12]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]، وهذه الآية الوحيدة التي قدم فيها الجهاد بالنفس على المال، وعن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله قال: «**من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**»[1] رواه الشيخان.

---

[1] (?) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير، برقم (

* * *

فصل في فضل الإنفاق على تعليم القرآن الكريم

وإن من أجل أنواع النفقات ما تعلق بخدمة القرآن الكريم، ولقد حظيت هذه البلاد المباركة – ولله الحمد والمنة – بإقبال أبنائها على كتاب الله الكريم إقبالًا يستوجب شكر المنعم ، والسعي في بقائها، واستمرار مسيرتها وأداء رسالتها.

2843)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، برقم (1895).

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -:
«ولقد ظهر في زماننا هذا جماعات كثيرة لتحفيظ القرآن في جميع أنحاء البلاد، ومقر هذه الجماعات بيوت الله ﷻ، وهي المساجد، والتحق بها – ولله الحمد – شباب كثير، من ذكور وإناث، فسرني ذلك، وإني أدعو إخواني المسلمين أن يحرصوا على مساعدة هذه الجماعات لينالوا مثل أجر التالين لكتاب الله ﷻ، فإن من أعان على خير أصابه، قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»[1]، وصح عنه ﷺ: **«من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا»**[2].[3]

فكن – رحمك الله – ناصحًا لكتاب ربك ببذل وقتك لتعليم القرآن – إن استطعت، فإن لم تستطع فبمالك، فإن لم تستطع فبدعائك ودعوتك، قال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ**

[1] (?) حديث أبي هريرة ؓ: رواه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم (2674).
[2] (?) سبق تخريجه، (ص: 72).
[3] (?) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (18/438).

لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ [الزخرف: 44].

وتذكر أنك إذا تكفلت براتب مدرس للقرآن فأنت مأجور، وعملك من أعظم القربات، وكل طالب يحفظ شيئًا من القرآن عن طريق هذا المدرس فلك نصيب من الأجر، من غير أن ينقص من أجرهم شيء، لهذا أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله -.

قال بعض أهل العلم: وينبغي أن يطلب بصدقته من تزكو به نفسه، من أهل التقوى والصلاح والعلم، وأن يكون ذا عائلة أو من عليه دين، أو من الأقارب وذوي الأرحام، وكل من جمع من هذه الخلال، كان أعطاؤه أفضل على قدر ما جمعه[1].

فصل الوقف من الصدقة الجارية

ومن الأعمال التي لا تنقطع، بل يجري ثوابها للإنسان حيًا وميتًا: «الوقف»، وهو من نعم الله العظيمة على عبده الواقف، حيث يقول : «**إذا مات الإنسان انقطع**

[1] (?) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، (ص: 52-53).

عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية...» الحديث[1]، رواه مسلم، وقد فسر العلماء الصدقة الجارية بالوقف، قال جابر بن عبد الله : لم يكن أحد من أصحاب النبي ذو مقدرة إلا وقف[2].

وكيف لا ينافس القادر على الوقف وقد قال الصادق والمصدوق: «**من احتبس فرسًا في سبيل الله، إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريه، وروثه وبوله، في ميزانه يوم القيامة**»[3] رواه البخاري، وغير خاف أن الوقف لا يكون إلا على جهة بر وقربة، كالوقف على طلبة العلم، وتوفير ما يحتاجونه من كتب ونحوها، وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[4]، كما أن الوقف على القرآن

---

1 (?) حديث أبي هريرة : رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم (1631).

2 (?) المغني 8/185.

3 (?) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسًا، برقم (2853)، من حديث أبي هريرة .

4 (?) سبق تخريجه، (ص: 73).

وتعليمه وتدريسه من أعظم أنواع البر والقرب.

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -: «المشاركة في بناء دار للقرآن من الصدقة الجارية، سواء كانت الدار للرجال أو النساء، فتدخل في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث**» وذكر منها الصدقة الجارية. والمساعدة في ذلك من الإعانة على تعليم القرآن، وقد قال النبي ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1]**،** والمعين شريك في الأجر»[2].

ولا يخفى أن هذه الجموع الغفيرة التي تؤم المساجد لتعلم القرآن منهم الضعيف وذو الحاجة، والتشجيع المادي والمعنوي لعموم الدارسين غير خافٍ أثره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: «ينبغي تيسير طريق الخير والطاعة، والإعانة عليه، والترغيب فيه بكل ممكن، مثل أن يبذل لولده وأهله أو رعيته ما

---

1 (?) حديث عثمان بن عفان ﷺ: رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم (5027).

2 (?) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين (18/445-446).

يرغبهم في العمل الصالح من مال أو ثناء أو غيره؛ ولهذا شرعت المسابقة بالخيل والإبل، والمناضلة بالسهام، وأخذ الجعل عليها؛ لما فيه من الترغيب في إعداد القوة ورباط الخيل للجهاد في سبيل الله، حتى كان النبي يسابق بين الخيل، هو وخلفاؤه الراشدون، ويخرجون الأسباق[1] من بيت المال، وكذلك عطاء المؤلفة قلوبهم، فقد رُوي أن الرجل كان يسلم أول النهار رغبة في الدنيا، فلا يجيء آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس[2]»[3].

على الجميع أن يشكروا الله تعالى أن اصطفاهم وأورثهم كتابه المبين الذي هو آخر الكتب المنزلة على المرسلين، وآخرها عهدًا برب العالمين، قال تعالى: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ**

---

1 (?) السبق – بفتح الباء -: ما يجعل من المال رهنًا على المسابقة، وبالسكون: مصدر سبقت أسبق سبقا. النهاية في غريب الحديث، (ص: 416).

2 (?) روى مسلم في صحيحه – كتاب الفضائل، رقم (2312) – عن أنس قال: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها.

3 (?) مجموع الفتاوى (28/369-370).

اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ [فاطر: 32-33]، فكلهم اصطفاهم الله تعالى لوراثة هذا الكتاب وإن تفاوتت مراتبهم، وتميزت أحوالهم، فلكل منهم قسط من وراثته، حتى الظالم لنفسه، لأن المراد بوراثة الكتاب وراثة علمه وعمله، ودراسة ألفاظه واستخراج معانيه؛ «ولذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو[1] أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين»[2].

«واختلف أهل العلم في سبب تقديم الظالم في الوعد بالجنة على المقتصد والسابق، فقال بعضهم: قدم الظالم لئلا يقنط، وأخر السابق بالخير لئلا يعجب بعمله فيحبط»[3]، فإنه ما سبق إلى الخيرات من سبق إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته، قال

---

1 (?) أي: التي في قوله تعالى: **يَدْخُلُونَهَا**.
2 (?) أضواء البيان (4/85).
3 (?) المصدر السابق.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 29-30].

واعلم أن الوقف أبوابه متسعة، وجهاته متعددة، وأربابه متنوعة، منهم الفقراء والأيتام والأرامل والأسرى والمرضى، وإعانة الراغبين في النكاح، وكذلك تكفين الموتى، وعمارة المساجد والمستشفيات، وتوفير الأدوية. وقد جمع الحافظ السيوطي – رحمه الله – جملة من الصدقات الجارية، فقال:

إذا مات ابن آدم	**عليه من فعال غير**
علوم بثها، ودعاء	**وغرس النخل،**
وراثة مصحف،	**وحفر البئر، أو إجراء**
وبيت للغريب بناه	**إليه، أو بناء محل**
وتعليم لقرآن كريم	**بحصر[1] غطاؤه[2]**

---

[1] (?) الديباج على مسلم 4/227.

[2] (?) الوابل الصيب: (ص: 76).

والناظر في أحوال الناس في هذا العصر يرى أن الحاجة إلى الأوقاف ماسة؛ نظرًا لارتفاع تكاليف المعيشة، وتنوع احتياجات الناس ومطالبهم، فما أروع أن توقف الأوقاف لتحصين الشباب وإعانتهم على الزواج، بدفع المهور أو إعانتهم عليها، وأجور المساكن وتهيئتها، وتسديد ديون الغارمين.

وقد اعتنى المسلمون بالوقف عناية بالغة منذ صدر الإسلام، ومن ذلك ما جاء في حديث عمر بن الخطاب السابق ذكره، وذكر المقريزي أول دار أسست لمجاوة المرضى في الإسلام، بناها في دمشق الخليفة عبد الملك الأموي عام 88 للهجرة، وجعل فيها الأطباء، وأجرى عليهم الأرزاق عن طريق الأوقاف، في حين أعطى كل مقعد خادمًا يهتم بأمره، وكل ضرير قائدًا يسهر على راحته، وفي حالة وفاة المريض فإنه يجهز ويكفن على نفقة المستشفى الذي تتوفر على صندوق وقفي. هذه هي حضارة الإسلام ورعاية أوقافه في الجانب الصحي.

قال ابن بطوطة في رحلته: «والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها، فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج،

يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن، ومنها أوقاف لفكاك الأسرى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل، يعطون منها ما يأكلون، ويلبسون، ويتزودون لبلادهم. ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها، لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليها المترجلون، ويمر الركبان بين ذلك، ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير»[1].

ومن المشاريع المعاصرة في مجال العلم والمعرفة إنشاء موقع على شبكة المعلومات العالمية «الانترنت»، وتخصيصه للتعريف بالإسلام وآدابه، وترسيخ العقيدة في قلوب أتباعه، ودعم القنوات الفضائية الإسلامية، والتي أخذت على عاتقها الدعوة إلى الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، لضمان استمرارها في تثبيت المسلمين على دينهم، ودفع الشبه الموجه إليهم.

ومما يجتمع فيها ثواب الواقف، وشرف الموقوف ومنزلته، وفضل الموقوف عليه «المكتبات الوقفية»، ويرجى أن يجتمع

---

1 (?) رحلة ابن بطوطة، (ص: 75).

لواقفيها ثواب الصدقة الجارية، وثواب العلم الذي يُنتفع به. ومنافع الخير تبقى دائمًا شاهدةً لصاحبها بالخير والإحسان، فطوبى له! حسناته تتضاعف، وأعماله تتزايد، قد استثنى ممن انقطعت أعمالهم بموتهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

واعلم – أيها المبارك – أن الصدقة تشرف بشرف الزمان والمكان، وحاجة الإنسان، وقال الإمام النووي – رحمه الله -: «يستحب الإكثار من الصدقة عند الأمور المهمة، وعند الكسوف، والسفر، وبمكة والمدينة، وفي الغزو، والحج، والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها»[1].

قال تعالى: **﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ *أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾** [البلد: 11-18].

«ووجه تخصيص اليوم ذي مسغبة بالإطعام فيه أن الناس في زمن المجاعة يشتد

---

1 (?) المجموع شرح المهذب 6/151.

شحهم بالمال خشية امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات. فالإطعام في ذلك الزمن أفضل، وهو العقبة، ودون العقبة مصاعد متفاوتة»، «والتواصي بالرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضًا كناية عن اتصافهم بالمرحلة؛ لأن من يوصي بالمرحلة هو الذي عرف قدرها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يوصي بها»[1].

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عند قوله تعالى: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ أي: كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم، كما جاء في الحديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض، يرحمكم من في السماء**»[2]، وفي الحديث الآخر: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»[3]،... وعن عبد الله بن

---

1 (?) تفسير التحرير والتنوير 12/358.

2 (?) حديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة، برقم (4941)، الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم (1924)، قال الألباني: «صحيح».

3 (?) حديث جرير بن عبد الله : رواه البخاري في كتاب التوحيد: باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا**

عمرو قال: «**من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا**»[1].

وقوله: ﴿**أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾ أي: المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين»[2].

والمسلم الحق لا يعرف الأنانية ولا الأثرة، وإنما يتمتع بالإيثار والرحمة، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: 10]، وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله : «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[3] رواه البخاري ومسلم.

تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110]، برقم (7376)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، برقم (2319).

1 (?) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة، برقم (4943)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، قال الألباني: «صحيح».

2 (?) تفسير ابن كثير 4/780.

3 (?) سبق تخريجه، (ص: 29).

وعن أنس قال: قال رسول الله : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]، رواه البخاري ومسلم.

وفي الخبر: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا**»[2].

ومن أجل الصدقات ما توقفت الحياة عليه، وهو الماء، عند الحاجة إليه، قال الله سبحانه وتعالى: **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** [الأنبياء: 30].

وفي كل كبد رطبة أجر، وإذا كان رجل ممن كان قبلنا، غفر له بسقيه كلبًا، فما

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم (13)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، برقم (45).

2 (?) حديث عبد الله بن عمر : رواه الطبراني في المعجم الكبير، (13646)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (1/97، برقم 176)، وأعله بعض أهل العلم؛ لأن في سنده سكين بن سراج، وهو (ضعيف)، كما قال الهيثمي وغيره.

ظنكم بمن سقى مسلمًا على ظمأ، أو كساه على عري؟

فعن أبي هريرة أن رسول الله قال: «**بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش؛ فنزل بئرًا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي؛ فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي فسقى الكلب؛ فشكر الله له فغفر له**»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**في كل كبد رطبة أجر**»[1]، رواه الشيخان.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي : «**أن امرأة بغيًا، رأت كلبًا في يوم حار يطيف ببئر**[2]**، قد أدلع**

---

1 (?) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم (2363)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم (2244).

2 (?) أي: دار حوله.

لسانه[1] من العطش؛ فنزعت له بموقها[2]، فغفر لها»[3].

فيا لعظمة الإسلام، حيث جعل سقي كلب سببًا لمغفرة الذنوب! إنها أعمال بسيطة في ظاهرها، لكنها عند الله عظيمة.

* * *

فصل في النفقة في عمارة المساجد

وأفضل الأعمال ما عظم نفعه واستمر ثوابه، وتسلسل خيره، كمثل المشاريع الخيرية التي من أفضلها وأجلها ثوابًا ما عاد إلى «عمارة المساجد» التي أمر الله أن

---

1 (?) أي: أخرجه لشدة العطش.

2 (?) الموقف – بضم الميم – هو الخف، فارسي معرب، ومعنى نزعت له بموقها: أي استقت، يقال: نزعت بالدلو، استقيت به من البئر. شرح مسلم (14/242).

3 (?) رواه مسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، برقم (2245).

ترفع ويذكر فيها اسمه، قال تعالى: **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** [النور: 36-37]، وقال سبحانه: **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** [التوبة: 18]، فجعل سبحانه وتعالى عمارة بيوته من أعظم شواهد الإيمان، **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** [المطففين: 26].

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله قال: «**من بنى مسجدًا لله، كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتا في الجنة**»، رواه ابن ماجه[1]، وصححه الألباني.

و«مفحص القطاة»: هو المكان الذي تفحص القطاة[2] عنه؛ لتضع فيها بيضها،

---

1 (?) رواه ابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات، باب من بنى لله مسجدًا، برقم (738).

وترقد عليه؛ وسمي بذلك لأنها تفحص عنه التراب.

قال العلامة السعدي – رحمه الله -: «وهذا المثال من النبي ﷺ يدل على أن من ساعد على عمارة المسجد، ولو بشيء قليل، بحيث تكون حصته من المسجد هذا المقدار – وهو مفحص القطاة – استحق هذا الثواب الجزيل، وما ذلك على فضل الله وكرمه بعزيز ولا جليل».

وقال - رحمه الله -: «وكثير من أهل الخير يبحث عن أفضل من هذا العمل الجليل، ولا يدرك أكمل من هذا الأمر الخالد الجميل؛ فإن المنفق فيه قد شارك المصلين في صلاتهم، والمتعبدين في عبادتهم؛ فإن الله يكتب ما قدمه العباد وباشروه، وآثار أعمالهم، وذلك من تعظيم الله، وتعظيم شعائره الذي هو غاية المطلوب، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، وإذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث، منها: الصدقة الجارية التي يدوم الانتفاع بها، ويتم الاعتباط بثوابها، قال تعالى: ﴿**وَمَا**

[2] (?) قال الدميري: القطا طائر معروف، واحده قطاة، والجمع قطوات وقطيات، وقال ابن قتيبة والرافعي أن القطا من الحمام. ينظر: عون المعبود (7/250-251).

تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[المزمل: 20]» [1].

وقد جرت عادة الأخيار، ومضت سنة الأبرار من هذه الأمة المصطفاة أنهم يتقربون إلى ربهم ببناء المساجد، ينفقون عليها الجزيل من أموالهم، يرجون بها المثوبة عند خالقهم، وفي الصحيحين عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله يقول: «**من بنى مسجدًا لله تعالى – يبتغي به وجه الله – بنى الله له بيتًا في الجنة**» [2].

ولقد حدا هذا الترغيب من الصادق المصدوق الخليفة الراشد عثمان بن عفان فاشترى أرضًا زاهدًا في مسجد رسول الله ، ففي سنن الترمذي والنسائي عن عثمان أن النبي قال: «**من يشترى بقعة آل فلان فيزيدها في**

---

1 (?) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، (ص: 148-149).

2 (?) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدًا، برقم (450)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها، برقم (533).

المسجد بخير له منها في الجنة».

فاشتريتها من صلب مالي[1].

ولا يزال للمحسنين – ولله الحمد – من المعروف نفحات، فلله درهم! رفع الله قدرهم، وأجزل مثوبتهم.

* * *

فصل في ذكر نوع من الصدقة

ومن جملة الصدقات: «التسامح في المعاملات»، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 280].

وعن أبي هريرة عن النبي قال: «**كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى معسرًا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه، لعل الله**

---

1 (?) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان ، برقم (3703)، قال الألباني: «حسن»، ورواه النسائي (في المجتبى) في كتاب الأحباس، باب وقف المساجد، برقم (3608)

أن يتجاوز عنا؛ فتجاوز الله عنه»[2]، رواه الشيخان.

وروى الإمام أحمد ابن أبا قتادة كان على رجل دين، وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه، فجاء ذات يوم، فخرج صبي فسأله عنه، فقال: نعم، هو في البيت يأكل خزيرة[1]، فناداه: يا فلان، اخرج، فقد أخبرت أنك هاهنا، فخرج إليه، فقال: ما يغيبك عني؟ قال: إني معسر، وليس عندي، قال: الله إنك معسر؟ قال: نعم، فبكى أبو قتادة، ثم قال: سمعت رسول الله يقول: «**من نفس عن غريمه**[2]**، أو محا عنه**[3]**، كان في ظل العرش يوم القيامة**»[4].

---

2 (?) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب من أنظر معسرًا، برقم (2078)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، برقم (1562).

1 (?) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا، ويصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذر عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل: هي حسا من دقيق ودسم. وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة، النهاية في غريب الحديث، (ص: 262).

2 (?) أي: أخر مطالبته، النهاية في غريب الحديث، (ص: 962).

3 (?) أي: أبرأه من الدين المكتوب عليه.

4 (?) رواه أحمد برقم (22623)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، مسند أحمد (37/308).

وعن أبي اليسر صاحب رسول الله
قال: كان لي على فلان بن فلان الحرامي مال، فأتيت أهله فسلمت، فقلت: ثم هو؟ قالوا: لا، فخرج علي ابن له جفر[1]، فقلت له: أين أبوك؟ قال: سمع صوتك؛ فدخل أريكة أمي، فقلت: اخرج إلي، فقد علمت أين أنت، فخرج، فقلت: ما حملك على أن اختبأت مني؟ قال: أنا والله أحدثك، ثم لا أكذبك، خشيت والله أن أحدثك فأكذبك، وأن أعدك فأخلفك، وكنت صاحب رسول الله ، وكنت والله معسرًا، قال: قلت: آلله؟ قال: الله. قلت: آلله؟، قال: الله. قلت: آلله؟ قال: الله. قال: فأتى بصحيفته فمحاها بيده، فقال: إن وجدت قضاءً فاقضني، وإلا أنت في حل، فأشهد بصر عيني هاتين – ووضع إصبعيه على عينيه – وسمع أذني هاتين – ووعاه قلبي هذا – وأشار إلى مناط قلبه – رسول الله وهو يقول: «**من أنظر معسرًا، أو وضع**

---

1 (?) الجفر: هو الذي قارب البلوغ، وقيل: هو الذي قوى على الأكل، وقيل: ابن خمس سنين، شرح مسلم (18/134).

عنه[1]**، أظله الله في ظله»**[2]، رواه مسلم.

* * *

فصل في الدعوة إلى الإنفاق

فهل آن لك أن تقرض ربك ليوم فقرك؟!

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11].

---

1 (?) أي: حط عنه من أصل الدين شيئًا، النهاية في غريب الحديث، (ص: 978).

2 (?) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر وقصة أبي اليسر، برقم (3006).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -:
«وسمى – سبحانه – الإنفاق قرضًا حسنًا حثًا للنفوس، وبعثًا لها على البذل؛ لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولابد، طوعت له نفسه بذله، وسهل عليه إخراجه. فإن علم أن المستقرض ملي وفي محسن، كان أبلغ في طيب قلبه وسماحة نفسه، فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه، وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله، كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجرًا آخر من غير جنس القرض، وأن ذلك الأجر حظ عظيم وعطاء كريم، فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من البخل والشح، أو عدم الثقة بالضمان، وذلك من ضعف إيمانه؛ ولهذا كانت الصدقة برهانًا لصاحبها»[1].

ومن هنا يعلم معنى حديث أبي هريرة عن النبي أنه قال: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبدٍ أبدًا**»[2]، رواه النسائي، وصححه الألباني.

---

1 (?) طريق الهجرتين، (ص:791).

2 (?) رواه النسائي في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، برقم (3110).

والصدقة – لغة – تلتقي مع مادة الصدق في أصل المادة، وفقه اللغة يؤكد ارتباط المادة بجميع ما تفرع منها.

قال الإمام النووي – رحمه الله -: «قالوا سميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه»[1]، وقال: «فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه»[2]، والتردد في النفقة دليل على ضعف الإيمان، فإن «الصدقة برهان».

أخي المسلم:

أنفق ينفق الله عليك فإن الجزاء من جنس العمل، فعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله يقول: «**ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزًا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر**»[3].

والله سبحانه وتعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه، ولهذا جاء في احديث: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب**

---

1 (?) شرح مسلم للنووي (7/48).
2 (?) المرجع السابق (3/101).
3 (?) سبق تخريجه، (ص:14).

الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن نيسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1] رواه مسلم، «**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»**[2] رواه الشيخان، وعن أبي اليسر قال رسول الله : «**من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله»**[3]؛ «لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاه من حر المطالبة، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه، نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش»[4].

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم (2699)، من حديث أبي هريرة .

2 (?) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه، برقم (2442)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم (2580)، من حديث عبد الله بن عمر .

3 (?) سبق تخريجه، (ص: 89).

4 (?) الوابل الصيب، (ص: 81).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -: «وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم...، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجودًا وعدمًا، فمن عفا عفا عنه، ومن غفر غفر له، ومن سامح سامحه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة»[1].

ألا تحب – يا عبد الله – أن تنادى غدًا من أبواب الجنة؟! «**من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»، فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من

---

[1] (?) المرجع السابق، (ص: 80)، مختصرًا.

تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[1]، رواه الشيخان.

أيها المنفق المبارك: كن على يقين أن النفقة لا تنقص مالك، قال : «**ما نقصت صدقة من مال**»[2]، رواه مسلم، وقد وعد الله تعالى المنفقين بالخلف، فقال – وهو أصدق القائلين: **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** [سبأ: 39]، لذا فلا تكاد تجد مؤمنًا يخرج الزكاة، وينفق النفقات في محلها إلا وقد صب الله عليه الرزق صبًا، وأنزل له البركة ويسر له أسباب الرزق.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : «**بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديثة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة[3]، فإذا شرجة[4] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله،**

---

1 (?) حديث أبي هريرة : رواه البخاري – واللفظ له – في كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، برقم (1897)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، برقم (1027).

2 (?) حديث أبي هريرة : رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، برقم (2588).

3 (?) الحرة: هي الأرض الملسة فيها حجارة سود، شرح مسلم للنووي (15/107).

فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته، يحول الماء بمسحاته[1]، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان – للاسم الذي سمع في السحابة -، فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب، الذي هذا ماؤه، يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه»[2].

حقًا، إنها التجارة الرابحة، مع أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين.

ومن الناس من يكون معدمًا[3]، لا يجد ما ينفق لكنه يدين لله بالنصيحة فيدل على الفقراء، ويذكرهم بالأغنياء، ويحث

---

4 (?) الشرجة: مسيل الماء من الحرة إلى السهل، والشراج جمعها، النهاية في غريب الحديث، (ص: 471).

1 (?) المسحاة: هي المجرفة من الحديد، والميم زائدة؛ لأنه من السحو: الكشف والإزالة، النهاية في غريب الحديث، (ص: 421).

2 (?) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين، برقم (2984).

3 (?) أعدم الرجل: افتقر، فهو معدم وعديم، الصحاح في اللغة، في (عدم)، (ص: 1983).

الموسرين ليغنوا المساكين، و«**الدال على الخير كفاعله**»[1] رواه الترمذي، والنبي يقول: «**اشفعوا تؤجروا**»[2] رواه البخاري، وكم من مشروع خيري كبير أقيم بدلالة مبارك، أو إشارة موفق! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

عباد الله: **﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** [محمد: 38].

جمعت مالًا، ففكر يا جامع المال أيامًا

المال عندك مخزون يوم تنفقه[3]

فالبدار، البدار قبل الفوات، فإن الآفات تعرض، والموانع تمنع، والموت لا يؤمن، والتسويف غير محمود.

فما يدري الفقير وما يدري الغني متى

---

1 (?) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، برقم (2670)، من حديث أنس بن مالك ، قال الألباني: «حسن صحيح».

2 (?) حديث أبي موسى الأشعري : رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، برقم (1432).

3 (?) إحياء علوم الدين للغزالي 4/201.

قـال سـبحانه وتعـالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10].

إذا هبت رياحك فإن لكل خافقة

ولا تغفل عن فما تدري السكون

وإن درت نياقك لمن يكون[1]

وقد قيل: «من أخر الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها»[2].

ولقد أثنى الله تعالى على المنفقين المبادرين قبل فوات الفرص، فمتى وجد سبب الإنفاق ليلًا أو نهارًا، سرًا أو جهارًا، فلا ينتظر المسلم بصدقة الليل صدقة النهار، ولا بصدقة النهار صدقة الليل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274].

---

1 (?) ينظر: ديوان الإمام الشافعي، (ص: 156).

2 (?) تفسير القرطبي (5/384)، وأدب الدنيا والدين، (ص: 216).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله -:
«فذكر الله تعالى عموم الأوقات وعموم الأحوال، فأتى بالفاء في الخبر ليدل على أن الإنفاق في أي وقت وجد من ليل أو نهار، وعلى أي حالة وجد في سر أو علانية، فإنه سبب للجزاء على كل حال.

فيبادر إليه العبد ولا ينتظر به غير وقته وحاله، فلا يؤخر نفقة الليل إذا حضر إلى النهار، ولا نفقة النهار إلى الليل، ولا ينتظر بنفقة العلانية وقت السر، ولا بنفقة السر وقت العلانية، فإن نفقته في أي وقت، وعلى أي حال وجدت، سبب لأجره وثوابه، فتدبر هذه الأسرار في القرآن، فعللك لا تظفر بها فيما يمر بك من التفاسير، والمنة والفضل لله وحده لا شريك له»[1].

وقد ذكر سبحانه من أول صفات المتقين الموعودين بالجنة أنهم ينفقون على كل حال، قال تعالى: **﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** [آل عمران: 133-134].

---

1 (?) طريق الهجرتين، (ص: 797-798).

وليحذر المسلم من الاستجابة للشيطان في وعده بالفقر، وأمره بالبخل الذي هو من أقبح الفواحش، قال تعالى: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: 268]. والفضل هو الرزق، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله -: «وهذا إجماع من المفسرين أن الفحشاء – هنا – البخل، فهذا وعده، وهذا أمره، وهو الكاذب في وعده، الغار الفاجر في أمره، فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون.

وأما الله – سبحانه وتعالى – فإنه يعد عبده على إنفاقه مغفرة منه لذنوبه، وفضلًا بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة، فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان، فلينظر البخيل والمنفق بأي الوعدين هو أوثق، وإلى أيهما يطمئن قلبه، وتسكن نفسه؟ والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، وهو الواسع العليم.

وتأمل كيف ختم هذه الآية بهذين الاسمين، فإنه واسع الفضل، واسع العطاء، عليم بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله، فيعطي

هذا بفضله، ويمنع هذا بعدله، وهو بكل شيء عليم»[1].

وكن على حذر – يا عبد الله – أن تلتفت إلى المخذلين المثبطين، فيحولوا بينك وبين التجارة مع رب العلمين ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: 24].

يلومونني في الجود، إذا هملت في موضع
إذا المرء لم ينفق هو الفقر[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: «وبين سبحانه أن البخل من الكبائر في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 180]، وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34] الآية»[3].

---

1 (?) طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ص: 816-817).
2 (?) البيتان للشاعر: محمود سامي البارودي – رحمه الله -، ينظر: ديوانه (ص: 279).
3 (?) مجموع الفتاوى (28/292).

واعلم أن إمساك المال ناتج عن سوء الظن بالله، والعياذ بالله، وقد توعدهم الله تعالى بقوله: **﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ {4} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ *نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾** [الهمزة: 1-6].

ولقد وصف الله المنافقين بقبض أيديهم، قال تعالى: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [التوبة: 67]، قال تعالى: **﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾** [التوبة: 54]، فإن من شأن المكذبين والمجرمين عدم إطعام المساكين **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾** [المدثر: 38-44]، **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾** [الماعون: 1-3]، **﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ**

صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ *وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ [الحاقة: 30-34]، **كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا** [الفجر: 17-20].

فتصدق – يا عبد الله – من طيب ما كسبت، وأنفق مما تحب، قال العلماء: ينبغي للمتصدق أن يلحظ حق نفسه، فإن الذي يقدمه اليوم هو الذي يلقاه غدًا في القيامة، فينبغي للقادر أن يختار الأجود، فـ«**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[1]، رواه مسلم.

ولا يليق بالغني المثري أن يتصدق بشق تمرة، أو كسرة خبزة، وهو يجد أفضل من ذلك، فإن الله تعالى يقول في النفقة على الزوجة المطلقة: **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا** [الطلاق: 7]، وقال سبحانه: **يَا**

---

[1] (?) حديث أبي هريرة : رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، برقم (2393).

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [البقرة: 267].

وعن عوف بن مالك قال: خرج رسول الله وبيده عصا، وقد علق رجل قنو حشف، فجعل يطعن في ذلك القنو، فقال: «**لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا، إن رب هذه الصدقة يأكل حشفًا يوم القيامة**»، رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه[1]، وحسنه الألباني.

* * *

[1] (?) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب لا يجوز من الثمرة في الصدقة، برقم (1608)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب قوله : **وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ** [البقرة: 267]، برقم (2493)، وابن ماجه في كتاب الزكاة، باب النهي أن يخرج في الصدقة شر ماله، برقم (1821).

فصل في ذكر آفة الإنفاق

ولتحذر أيها المنفق الباذل مما يبطل صدقتك، وذلك بالمن فيها أو الأذى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: 264].

وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارٍ. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنان،**

والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[1]، رواه مسلم.

قال الحافظ ابن القيم – رحمه الله -: «فالمن نوعان: أحدهما: من بقلبه من غير أن يصرح به بلسانه، وهذا إن لم يبطل الصدقة، فهو يمنعه شهود منه الله عليه في إعطائه المال وحرمان غيره، وتوفيقه للبذل ومنع غيره منه، فلله المنة عليه من كل وجه، فكيف يشهد قلبه منه لغيره؟

والنوع الثاني: أن يمن عليه بلسانه، فيعتدي على من أحسن إليه بإحسانه، ويريد أنه اصطعنه، وأنه أوجب عليه حقًا، وطوقه منه في عنقه، فيقول: أما أعطيتك كذا وكذا؟، ويعد أياديه عنده.

قال سفيان: يقول أعطيتك وأعطيتك فما شكرت! وقال عبد الرحمن بن زيد: كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلًا شيئًا، ورأيت أن سلامك يثقل عليه، فكف سلامك عنه.

وكانوا يقولون: إذا صنعتم صنيعة فانسوها، وإذا أسديت إليكم صنيعة لا تنسوها. وفي ذلك قيل:

---

1 (?) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، برقم (106).

وإن امرءًا أسدى إلي وذكرنيها مرة لبخيل

وقيل: صنوانٌ: من منح سائله ومنَّ، ومن منع نائله وضنَّ.

وحظر الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه؛ لأن من العباد تكدير وتعيير، ومن الله – سبحانه – إفضال وتذكير. وأيضًا فإنه هو المنعم في نفس الأمر والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده في الحقيقة. وأيضًا فالامتنان استبعاد وكسر وإذلال لمن تمن عليه، ولا تصلح العبودية والذل إلا لله»[1].

اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شح أنفسنا، اللهم إنا نسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد، ونسألك قرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر خلقك إليك، وهب لنا غنىً لا يطغينا، وصحة لا تلهينا، وأغننا اللهم عمن أغنيته عنا.

---

1 (?) طريق الهجرتين، (ص: 794-796).

اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم اجعلنا ممن إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر، وإذا أذنب استغفر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ثبت بالمصادر والمراجع

1-**القرآن الكريم**

2-**أدب الدنيا والدين**، تأليف: علي بن محمد بن حبيب الماوردي، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، ط. الرابعة، دار اقرأ، بيروت 1405هـ.

3-**الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية**، تأليف الإمام: أبي حفص عمر بن علي البغدادي البزار، حققه الدكتور: صلاح الدين المنجد، ط. الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت 1396هـ.

4-**إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تأليف الإمام القاضي: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، حققه الدكتور: يحيى إسماعيل، ط. الأولى، دار الوفاء للطباعة، المنصورة 1419هـ.

5-**تاريخ مدينة السلام،** المسمى بتاريخ بغداد، تأليف الحافظ: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور: بشار عواد معروف، ط. الأولى، دار الغرب الإسلامي 1422هـ.

6-**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،** تأليف الإمام: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ضبطه وراجع أصوله وصحَّحه: عبد الرحمن محمد عثمان، ط. دار الفكر.
7-**التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة،** تأليف الإمام: محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط. الأولى، مكتبة دار المنهاج، الرياض 1425هـ.
8-**تفسير القرآن العظيم،** تأليف الإمام الحافظ: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط. الثانية، دار طيبة 1420هـ.
9-**تفسير التحرير والتنوير**: تأليف سماحة الشيخ: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ط. دار سحنون، تونس 1997.
10- **تفسير الجامع لأحكام القرآن،** تأليف الإمام: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت 1427هـ.

11- **تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** للعلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط. الثانية، دار ابن الجوزي 1430هـ.
12- **تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري، وآخرون، ط. الثالثة، دار السلام، القاهرة 1429هـ.
13- **تهذيب اللغة،** تأليف: أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، حققه وراجعه: عبد السلام محمد هارون، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1384هـ.
14- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي و**المسمى باسم [الداء والدواء]، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط. الأولى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة 1429هـ.
15- **الديباج على مسلم،** تأليف الحافظ: جلال الدين عبد الرحمن بن

أبي بكر السيوطي، حقق أصله، وعلَّق عليه الشيخ: أبو إسحاق الحويني، ط. الأولى، دار ابن عفان، الخبر، السعودية 1416هـ.

16- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري،** ط. دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

17- **ديوان الإمام الشافعي، للإمام**: أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، ط. الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت 1416هـ.

18- **ديوان البارودي**: للشاعر: محمود سامي باشا البارودي، حققه وضبطه وشرحه: علي الجارم، ومحمد شفيق معروف، ط. دار العودة، بيروت 1998.

19- **ذم الحرص على المال والشرف رسالة في شرح حديث "مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ..."**، تأليف الإمام الحافظ الفقيه: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، الشهير بابن رجب الحنبلي، حقق أصله وخرج

نصوصه: أبو عاصم البركاتي، بدون ذكر دار النشر.

20- **رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،** تأليف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي ابن بطوطة، ط. الأولى، المطبعة الخيرية 1322هـ

21- **زاد المعاد في هدي خير العباد،** تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، وشعيب الأرنؤوط، ط. الرابعة، مؤسسة الرسالة 1425هـ.

22- **سنن ابن ماجه،** حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض 1429هـ.

23- **سنن أبي داود**، حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألبان، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن

آل سلمان، ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض 1427هـ.

24- **سنن الترمذي**، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض 1429هـ.

25- **سنن النسائي**، حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الثانية، مكتبة المعارف الرياض 1429هـ.

26- **سير أعلام النبلاء،** تأليف الحافظ: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الشيخ: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط. الحادية عشرة، مؤسسة الرسالة 1422هـ.

27- **شرح صحيح مسلم،** تأليف الإمام: يحيى بن شرف النووي، ط. المصرية بالأزهر، 1347هـ.

28- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،** تأليف الحافز: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي، تحقيق

الشيخ: بشعيب الأرنؤوط، ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1414هـ.

29- **صحيح ابن خزيمة،** للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت 1390هـ.

30- **صحيح البخاري،** اعتنى به: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، ط. الثانية، مكتبة الرشد 1427هـ.

31- **صحيح مسلم**، اعتنى به: ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعماد الطيار، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة 1430هـ.

32- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وخرَّج أحاديث: زائد بن أحمد النشيري، ط. الأولى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة 1429هـ.

33- **عارضة الأحوذي** بشرح جامع الترمذي، تأليف الحافظ: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ابن

العربي المالكي، ط. دار الفكر، بيروت 1425هـ.

34- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا، ط. الأولى، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة 1429هـ.

35- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** تأليف الحافظ: بدر الدين العيني الحنفي، ضبطه: عبد الله محمود محمد عمر، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1421هـ.

36- **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** تأليف الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط. الأولى، دار السلام، الرياض 1421هـ.

37- **الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية،** تأليف العلامة الشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط. الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض 1412هـ.

38- **القاموس المحيط**، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط. الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1426هـ.

39- **كتاب العين،** تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط. دار ومكتبة الهلال، القاهرة.

40- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تأليف الحافظ: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ.

41- **لسان العرب لابن منظور،** ضبط نصوصه وعلق حواشيه: د. خالد رشيد القاضي، ط. دار الأخيار، الرياض 1427هـ

42- **الوابل الصيب من الكلم الطيب،** تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، ط. دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

43- **المجموع شرح المهذب**، للإمام أبي زكريا بن شرف النووي،

حققه الشيخ: محمد نجيب المطيعي، ط. الثانية، دار عالم الكتب، الرياض 1427هـ.

44- **مجموع فتاوى ابن تيمية**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وولده محمد، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط. 1425هـ.

45- **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط. الأولى، دار الثريا 1419هـ.

46- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تأليف الحافظ: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: لجنة من العلماء، ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.

47- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تأليف الحافظ: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرحه وضبطه وصحَّحه: محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، ط. الثالثة، مكتبة دار التراث، القاهرة.

48- **مسند الإمام أحمد،** تحقيق الشيخ: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط. الثانية، مؤسسة الرسالة 1429هـ.
49- **معالم التنزيل،** تأليف الإمام: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط. الثالثة، دار طيبة، الرياض 1431هـ.
50- **معجم البلدان**، تأليف الإمام: ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، ط. دار صادر، بيروت 1397هـ.
51- **المعجم الوسيط،** مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. الرابعة، مكتبة الشروق الدولية 1425هـ.
52- **النهاية في غريب الحديث** لأبي السعادات ابن الأثير، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي، ط. الخامسة، دار ابن الجوزي 1430هـ.

فهرس الموضوعات